الإمام القفال الشاشي مفسراً

إعداد

د/ مصطفى شعبان البسيوني مسعد

أستاذ مشارك بكلية الشريعة والقانون جامعة جازان

وأستاذ مساعد بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية جامعة الأزهر

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آلة وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد.

فالإمام القفال الشاشي من أئمة المذهب الشافعي آلت إليه الإمامة والرئاسة في عصره ، وعن طريقه انتشر فقه الشافعية في بلاد ما وراء النهر، وكان متبحرا في علوم اللغة والتفسير لكن شهرته الفقهية غلبت عليه ، فأردت أن أبرز مكانته التفسيرية وإمامته اللغوية بما أثر عنه من نقول كثيرة حوتها كتب التفسير بالرأي ، وخاصة التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي وهو العمدة في بحثي هذا، وقسمت الدراسة إلى : مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .

الفصل الأول: التعريف بالإمام القفال الشاشي: ألقيت فيه الضوء على ترجمته وأهم مصنفاته ومكانته العلمية.

الفصل الثاني : منهج الإمام القفال فى التفسير بالمأثور: تحدثت فيه عن مروياته في التفسير بالمأثور وفضائل الآيات والسور، وعن موقفه من رواية الإسرائيليات والروايات الواردة عنه في أسباب النزول، ومنهجه فى توجيه القراءات المتواترة، وموقفه من الآيات التي قيل بنسخها.

الفصل الثالث: منهج الإمام القفال في التفسير بالرأي : وقفت فيه على المعالم المنهجية في تفسيره بالرأي ومنها :عنايته بذكر وجوه المناسبات بين الآيات ، والوقوف على اللطائف والدقائق التفسيرية ، وعنايته بعلوم اللغة والصرف والإعراب وعلوم البلاغة، ثم ذكرت بعض ما يقال عنه في كتب التفسير من اجتهادات فقهية انفرد بها عن أئمة المذهب الشافعي ،وتحدثت عن موقفه من الصفات الخبرية " الآيات الموهمة للتشبيه " وما ورد في تفسيره من الاعتزاليات والرد عليها.

الخاتمة : ذكرت فيها أهم النتائج التي وقفت عليها من خلال هذه الدراسة

الكلمات الافتتاحية: الإمام القفال الشاشي- التفسير بالمأثور- التفسير بالرأي- الاعتزاليات والرد عليها

" وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

Abstract

Praise be to Allah, the lord of the world,' thanks him in the first, the hereafter and he has the judgment and back to him and we are returned to him. and prayers peace on be upon his messengers, his family, his companions and those who followed them to the day of judgments.Imam Al-qafal El-shashi is one of the imam of the Shafai school who imamate and presidency's in his era and through him spread Shafai jurisprudence in the country beyond the river,and was a professor in the science of language and interpretation, but fame jurisprudence over whelmed him, I wanted to high light his explanatory status and linguistic Imamate , including the impact of many say whale books interpretation ,especially interpretation the great imam Fakhruddin Razi is the mayor in my paper. This study included Introduction, three characters and conclusion.Chapter ١:the definition of the imam Al-qafal El-shashi. I shed light on his translation and his most important works and his scientific status. Chapter ٢: Imam Alqafal approach to old saying,interpretation, I talked about his narratives in the interpretation of the adage and virtues of verses and the fence and his position on the Israeli novel and the stories contained in the reasons for the descent, and his approach in direct frequent readings, and his position on the verses that were said to copy.Chapter ٣: Imam Alqafal approach in the interpretation of opinion:I stood on the methodological features in the interpretation of opinion,including:his attention to mention the faces of events between verses,and stand on the nice and the explanatory minutesand his attention to the science of Language, Morphology Al-Arab and Rhetoric, and then mentioned some of what was quoted in the books of interpretation jurisprudence alone the imams of Shafii doctrine, and talked about his position on the qualities of algebraic (illusory verses of the analogy) and what contained in the retirements and their responses.

Conclusion: I mentioned the most important findings that stood out through this study.I thrust in Allah and Allah is the conciliator.

المقدمة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، والصلاة والسلام على من أوتى جوامع الكلم الذى أرسله ربه إلى خير الأمم، فهداها للتى هى أقوم بشرع أتم عليها به النعم، وعلى آله وأصحابه وكل من اقتفى أثره واستن بسنته إلى يوم الحشر الأعظم.

و بعد،،،

فتاريخ الفكر الإسلامي زاخر بأئمة عظام وأعلام شامخة لا تحصى برعوا في فنون مختلفة، وتركوا للفكر الإنساني نفائس كثيرة حوت عليها مصنفاتهم التي أثروا بها التراث الإسلامي، بيد أن الكثير من هذه المصنفات فقدت ولم يصل إلينا منها شيئ إلا بعضا من النقول التي تناثرت في ثنايا الكتب المختلفة ، فدلت على ما حوته من علم عظيم ، وما فات الأمة بفقدها من نفع كبير ، ومن هذه المصنفات تفسير القرآن للإمام القفال الشاشي الذى آلت إليه الإمامة والرئاسة في عصره في المذهب الشافعي ، وكان متبحرا في علوم اللغة والتفسير لكن شهرته الفقهية غلبت عليه ، فأردت أن أبرز مكانته التفسيرية وإمامته اللغوية بما أثر عنه من نقول كثيرة حوتها كتب التفسير بالرأي ، وخاصة التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي وهو العمدة في بحثي هذا ، فعمدت إليه في كثير من النقول وقمت بجمعها ودراستها واستنباط المعالم المنهجية لتفسير الإمام القفال منها حتى خرجت لنا هذه الدراسة بصورتها هذه وسميتها " الإمام القفال الشاشي مفسراً" وقسمتها إلى :مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .

الفصل الأول: التعريف بالإمام القفال الشاشي.

الفصل الثاني : منهج الإمام القفال فى التفسير بالمأثور ويحتوي على المباحث الآتية

المبحث الأول : مرويات الإمام القفال في التفسير بالمأثور وفضائل الآيات والسور

المبحث الثاني: موقفه من رواية الإسرائليات

المبحث الثالث: الرويات الواردة عنه في أسباب النزول

المبحث الرابع: منهج الإمام القفال في فى توجيه القراءات المتواترة

المبحث الخامس : موقفه من الآيات التي قيل بنسخها

الفصل الثالث: منهج الإمام القفال في التفسير بالرأي ويحتوي على المباحث الآتية:

المبحث الأول : الرأي في تفسير الإمام القفال

المبحث الثاني: عناية الإمام القفال بذكر وجوه المناسبات بين الآيات

المبحث الثالث :اللطائف والدقائق التفسيرية عند الإمام القفال

المبحث الرابع:بيان الغريب واللغة من مفردات النظم القرآني

المبحث الخامس: عناية الإمام القفال بالتصريف والاشتقاق

المبحث السادس: عناية الإمام القفال في تفسيره بالإعراب

المبحث السابع :الصور البلاغية في تفسير الإمام القفال
المبحث الثامن : الأحكام الفقهية في تفسير الإمام القفال
المبحث التاسع : الصفات الخبرية " الآيات الموهمة للتشبيه " وموقف الإمام منها
المبحث العاشر:ما ورد في تفسير الإمام القفال من اعتزاليات
الخاتمة.

واتبعت فى هذه الدراسة الخطوات المنهجية التالية:

أ- قمت بعزو الآيات إلى سورها.

ب ـ قمت بتخريج الأحاديث النبوية الواردة فى البحث تخريجاً مفصلاً من أمهات الكتب الحديثية المعتبرة لدى علماء التخريج فذكرت اسم المصدر والكتاب والباب ورقم الجزء والصفحة واسم الطبعة.

ج - عزوت الأبيات الشعرية إلى قائليها وذكرت الديوان ورقم الصفحة إن وجد.

د - الترجمة لبعض الأعلام المبهمة فى هذا البحث.

ه- ذكرت فى هذه الدراسة أقوال أئمة التفسير واللغة والقراءات وعزوت الأقوال إلى أصحابها من مظانها مع ذكر اسم المصدر والطبعة وسنة الطبع بالهامش عند ورودها فى المرة الأولى. حتى تخرج الدراسة بصورتها المنشودة التى عمدت إليها راجياً المولى عزوجل أن يكتب لى السداد والتوفيق، فهو حسبى وعليه اعتمادى وموئلى.

راجى عفو ربه

د/ مصطفى شعبان البسيونى

أستاذ مشارك بكلية الشريعة والقانون جامعة جازان

وأستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين بالمنوفية جامعة الأزهر

الفصل الأول

التعريف بالإمام القفال الشاشي

اسمه ولقبه وكنيته : هو الإمام، العلامة، الفقيه، الأصولي، اللغوي، عالم خُرَاسان، أبو بكرٍ محمد بن علي بن إسماعيل الشَّاشِيُّ الشافعي القَفَّالُ الكبير، إمام وقته، في بلاد ما وراء النهر، وصاحب التصانيف.

مولده ونشأته: ولد في الشاش - بشينين معجمتين بينهما ألف - وهي مدينة وراء نهر سيحون، خرج منها جماعة من العلماء ، ومولده فِيمَا ذكره ابْن السمعانى سنة إحْدَى وَتِسْعين وَمِائَتَيْن،ثم رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام والثغور، وسار ذكره في البلاد،

شيوخه وتلاميذه :سمع: أبا بكر بنَ خزيمة، وابن جرير الطبريَ، وعبد اللهِ بن إسحاق المدائني، ومحمد بن محمد الباغنديّ، وأبا القاسم البغوي، وأبا عَرُوبَة الحَرَّانِيَّ، وطبقتهم. وأخذ الفقه عن ابن سريج.

وروى عنه :الحاكم أبو عبد الله وأبو عبد الله ابن منده وأبو عبد الرحمن السلمي وجماعة كثيرة...

فضله ومكانته العلمية : الإمام الجليل أحد أئمة الدهر ذو الباع الواسع فى العلوم واليد الباسطة والجلالة التامة والعظمة الوافرة كان إمَامًا فى التفْسير إماما فى الحديث إمَامًا فى الْكلام إماما فى الْأصول إمَامًا فى الْفروع إمَامًا فى الزهد والورع إماما فى اللُّغَة وَالشعر ذاكرا للعلوم محققا لما يورده حسن التصرف فيما عنده فردا من أفراد الزمَان

قال فيهِ أبو عاصم العبادى :هو أفصح الأصحاب قلما وأثبتهم فى دقائق العلوم قدما وأسرعهم بيانا وأثبتهم جنانا وأعلاهم إسنادا وأرفعهم عمادا. وقال الحليمى: كان شيخنا القفال أعلم من لَقيته من علماء عصره ، وقال فى كِتَابه شعب الْإِيمان فى الشعبة السادسة والعشرين فى الجهاد: إمامنا الذى هو أعلى من لقينا من علماء عصرنا صَاحب الْأصول والجدل وحافظ الفروع والعلل وناصر الدين بالسيف والقلم والموفى بالفضلِ فى العلم على كل علم أبو بكر محمد بن على الشاشى

وقال الحاكِم أبو عبد الله: هو الفقيه الأديب إمام عصره بما وراء النهر للشافعيين وأعلمهم بالأصول وأكثرهم رحلة فى طلب الحَدِيث

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازى : كان إماما وله مصنفات كثيرة ليس لأحد مثلها وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء وله كتاب فى أصول الفقه وله شرح الرسالة وَعنه انتشر فقه الشافعى بمَا وَرَاء النهر. وقال ابن الصّلاح الْقفال الْكَبير علم من أعْلَام الْمذهب رفيع وَمجمع علوم هو بهَا عليم وَلَها جموع...([1])

---

[1] - سير أعلام النبلاء١٦/٢٨٣ط مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٥م

مصنفاته: صنف الإمام القفال – رحمه الله- في فنون مختلفة منها :الجدل والفقه وأصوله والتفسير فهو أول من صنف في الجدل الحسن من الفقهاء، وله كتاب في أصول الفقه، وله شرح الرسالة، وله أدب القاضي على مذهب الشافعي ،و الترغيب في الفروع وهو مجلد يتضمن: فروعا بأدلتها.وجوامع جمع فيه من كلمات النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم-. وَصَنَّفَ كِتَابَ (دلائل النُّبُوَّةِ) ، وكتاب محاسن الشريعة و شرح تلخيص ابن القاص الطَّبَري في الفروع. وشرح فروع ابن الْحداد المصرى...أما التفسير فما نقل عنه أئمة التفسير فى كتبهم كالرازى وأبي حيان و القرطبي وغيرهم من أقوال وترجيحات تفسيرية كثيرة تدل على إمامته ورسوخه فيه غير أن مصنفه في التفسير لم يصل إلينا وقد ذكره صاحب كتاب هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين باسم تفسير القرآن ([1])

الفرق بينه وبين القفال المروزي (الصغير): قال الشيخ مُحِي الدين النواوي: إذَا ذكر القفال الشَّاشِيُّ فالمراد هو، وإذا قيل: القَفَّالُ المَرْوَزِيُّ، فَهُوَ القفال الصغير الذي كان بعد الأربع مائة.

قال: ثم إن الشَّاشِيَّ يتكرر ذكره فِي التفسِير والحديث والأصول والكلام. وَأَمَّا المَرْوَزِيُّ فيتكرر فِي الفِقْهِيَّاتِ ([2])

اتهامه بالاعتزال والاعتذار عنه : الإمام القفال – رحمه الله- مع تبوئه المكانة السامية والمنزلة الرفيعة التي جعلته إماما في علوم الشريعة واللغة العربية واتصافه بالزهد والورع في الدين لم يسلم من الوقوع في الزلل والزيغ عن الحق في بعض المسائل الكلامية التى وافقت مذهب المعتزلة .

قال الإمام الرازي – رحمه الله -: "وأقول: إن هَذَا الْقَفَّالَ عظيم الرغبةِ فِي الِاعْتِزَالِ حَسَنُ الِاعْتِقَادِ فِي كَلِمَاتِهِمْ، ومعَ ذَلِكَ فقد كان قليل الإحاطة بأصولهم.. وَاعلم أن الْقَفَّالَ- رحمه الله- كان حَسَنَ الْكَلَامِ في التفسِيرِ دقيق النَّظر فِي تأويلات الألفاظ إلا أنه كان عظيم الْمبالغة فِي تقرير مذهب المعتزلة مع أنه كان قليل الحظ من علم الكلام قليل النصيب من معرفة كَلَامِ الْمعتزلة. ([3])

"وقال أبو الحَسَنِ الصَّفَّارُ ([4]): سَمِعْتُ أبا سَهْلٍ الصُّعْلُوْكِيُّ([1])، وسئل عَن تفسير أبي بكر القَفَّال، فقال: قدَّسَهُ من وجه، ودَنَّسَهُ من وجه، أي: دنَّسَهُ من جهة نصره للاعتزال.

---

[1] - انظر هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل بن محمد البغدادي٤٨/٢ط دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان وانظرمعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة٣٠٧/١٠ وما بعدها ط دار إحياء التراث العربي

[2] - سير أعلام النبلاء٢٨٣/١٦إلى ٢٨٥ بتصرف

[3] - التفسير الكبير ١١/٧ ط دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

[4] - الصَّفَّارُ أَبُو الحَسَنِ أَحْمَدُ بنُ عُبَيْدِ بن إِسْمَاعِيْلَ الإِمَامُ، الحَافِظُ، المُجَوِّدُ، أَبُو الحَسَنِ كَانَ ثِقَةً ثَبْتاً، صَنَّفَ (المُسْنَد) وَجوَّده.سَمِعَ مِنْهُ ابْنُ عَبْدَان فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ، وَتُوُفِّيَ بَعْدَهَا بقَلِيْلٍ.سير أعلم النبلاء للذهبي٤٣٩/١٥ط مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٥م

قلت: قد مرَ موته، والكمال عزيز، وإنما يمدح العَالِمُ بكثرة ماله من الفضائل، فلا تدفن المحاسن لورطة، ولعله رجع عنها. وقد يغفر له باستفراغه الوسع في طلب الحق ولا قوة إلا باللهِ.
قال أبو بكر البَيْهَقِيُّ فِي (شُعب الإيمان) :أنشدنا أبو نصر بن قتادة، أنشدنا أبو بكر القَفَّال:

أوسِّعُ رَحْلِي عَلَى مَنْ نَزَلْ ... وَزَادِي مُبَاحٌ عَلَى مَنْ أكَلْ
تُقَدِّمُ حَاضِرَ مَا عِنْدَنَا ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ خُبْزٍ وَخَلّ
فَأَمَّا الكَرِيْمُ فَيَرْضَى بِهِ ... وَأَمَّا اللَّئِيمُ فَمَنْ لَمْ أُبَلْ ([2])

وحكى صاحب طبقات الشافعية الكبرى ([3]) عن الحافظ ابن عساكر –رحمه الله – أن القفال في أول أمره كان على قول المعتزلة ثم رجع عنه إلى المذهب الأشعري فقال :"وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر بلغنى أنه كَانَ مائلا عَن الاعتدال قائلا بالاعتزال فى أول مرة ثم رجع إلَى مذهب الأشعرى قلت وَهَذِه فَائِدَة جليلة انفرجت بها كربة عظيمة وحسيكة فى الصدر جسيمة وَذلك أن مذاهب تحكى عن هذا الإمام فى الأصول لا تصح إلا على قواعد المعتزلة ..قلت وَقد انكشفت الْكُرْبَة بما حكاه ابن عَسَاكِر... وقد كنت أغتبط بكلام رأيته للقاضى أبى بكر فى التقريب والإرشاد وللأستاذ أبى إسحاق الإسفراينى فى تعليقه فى أصول الفقه فى مسألة شكر المنعم وهو أنهما لما حكيا القول بالوجوب عقلا عن بعض فقهاء الشافعية من الأشعرية قالا اعلم أن هذه الطائفة من أصحابنا ابن سُرَيج وغيره كَانوا قد برعوا فى الفقه ولم يكن لهم قدم راسخ فى الكلام وطالعوا على الكبر كتب المعتزلة فاستحسنوا عباراتهم وقولهم يجب شكر المنعم عقلا فذهبوا إلَى ذلك غير عالمين بمَا تؤدى إليه هَذِه المقالة من قبيح المذهب وَكنت أسمع الشيخ الإمام رحمه الله يحكى ما أقوله عن الأستاذ أبى إسحاق مغتبطا به فأقول له يا سيدى قد قاله أيضا القاضى أبو بكر ولكن ذلك إنما يقال فى حق ابن سُرَيج وأبى على بن خيران والإصطخرى وغيرهم من الْفقهاء الذاهبين إلى ذلك الذين ليس لهم فى الكلام قدم راسخ أما مثل الْقفال الكبير الذى كان أستاذا فى علم الكلام وقال فيه الحاكم إنه أعلم الشافعيين بما وراء النهر بالأصول فكيف يحسن الاعتذار عنه بهذا، فلما وقفت على ما حكاه ابن عساكر انشرحت نفسى له وأوقع الله فيها أن هذه الأمور أشياء كان يذهب إليها عند ذهابه إلَى مذهب القوم ولا لوم عليه فى ذلك بعد الرجوع ،وفى شرح الرسالة للشيخ أبى محمد الجوينى أن أصحابنا اعتذروا عَن الْقفال نَفسه حيث أوجب شكر المنعم بأنه لم

---

[1] - هومُحَمَّد بن سُلَيْمَان ابْن مُحَمَّد بن سُلَيْمَان بن هَارُون بن مُوسَى بن عِيسَى، أَبُو سهل الصعلوكي، الْحَنَفِيّ نسبا، الْعجلِيّ، الشَّافِعِي مذهبا. ولد سنة٢٩٦ه أحد أَئِمَّة وقته فِي عُلُوم، مُتَّفق على تقدمه وجلالته. وتوفي سنة٣٦٩ ه انظر طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ١٥٨/١دار البشائر الإسلامية بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٢م وانظر وفيات الأعيان٢٠٤/٤ط دارصادر بيروت

[2] - سير أعلام النبلاء٢٨٣/١٦إلى ٢٨٥ بتصرف

[3] - تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)

يكن مندوبا فى الكلام وأصوله قلت وهذا عندى غير مقبول لما ذكرت ،وقد ذكر الشيخ أبو محمد بعد ذلك فى هذا الْكتاب أن الْقفال أخذ علم الكلام عن الأشعرى وأن الأشعرى كان يقرأ عليه الفقه كما كان هو يقرأ عليه الكلام وهذه الحكاية كما تدل على معرفته بعلم الكلام وذلك لا شك فيه كذلك تدل على أنه أشعرى وَكأنه لما رجع عَن الاعتزال وَأخذ فى تلقى علم الكلام عن الأشعري فقرأ عليه على كبر السن لعلى رتبة الأشعرى ورسوخ قدمه فى الكلام وقراءة الأشعرى الفقه عليه تدل على علو مرتبته أعنى مرتبَة الْقفال وقت قراءته على الأشعرى وَأنه كان بحيث يحمل عنه العلم ([1])

هذه بعض النقول التي تؤيد القول برجوع الإمام القفال عن الاعتزال في آخر حياته ، وسأذكر في آخر هذه الدراسة – إن شاء الله تعالى – مبحثا خاصا فيما أثر عنه من أقوال وافقت أصول المعتزلة ، ولعله رجع عنها في آخر حياته كما ذُكر والله أعلم.

وفاته : اختلف المؤرخون في وفاته على قولين: الأول : توفي سنة خمس و ثلاثين وثلاثمائة وهذا قول الحاكم وابن السمعاني وهو الراجح ، والثاني : توفي سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ويعزى هذا القول لأبي إسحاق الشيرازي.

قال ابن خلكان – رحمه الله-: قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء: توفي في سنة ست وثلاثين وثلثمائة، وقال الحاكم أبو عبد الله المعروف بابن البيع النيسابوري: إنه توفي بالشاش، في ذي الحجة سنة خمس وستين وثلثمائة، وقال: كتبت عنه وكتب عني، ووافقه على هذا ابن السمعاني في كتاب الأنساب وزاد فقال: وكانت ولادته في سنة إحدى وتسعين ومائتين، وقال أعني ابن السمعاني في كتاب الذيل: إنه توفي سنة ست وستين وثلثمائة، رحمه الله تعالى، وكذا قاله في كتاب الأنساب أيضا في ترجمة الشاشي، والقول الأول قاله في ترجمة القفال، والله أعلم بالصواب .([2])

---

[1] - طبقات الشافعية الكبري٣/٢٠٠ وما بعدها تاج الدين السبكي ط هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤١٣

[2] - وفيات الأعيان٤/٢٠٠ وما بعدها

الفصل الثاني

منهج الإمام القفال فى التفسير بالمأثور

ويحتوي على المباحث الآتية

المبحث الأول : مرويات الإمام القفال في التفسير بالمأثور وفضائل الآيات والسور

المبحث الثاني: موقفه من رواية الإسرائليات

المبحث الثالث: الرويات الواردة عنه في أسباب النزول

المبحث الرابع: منهج الإمام القفال في فى توجيه القراءات المتواترة

المبحث الخامس : موقفه من الآيات التي قيل بنسخها

تمهيد

القرآن كلام الله المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، نزل من حضرة الربوبية على قلب أكمل البشرية وخير البرية ليبلغه إلى خير أمة أخرجت للناس ، وهو يشتمل على معارف عالية ، ومطالب سامية ، لا يشرف عليها إلا أصحاب النفوس الذاكية والعقول الصافية ، فالمتأمل فى آياته والمتدبر فى معانى ألفاظه يجد أمامه من الهيبة والجلال ما يأخذ بتلابيبه ويملك فؤاده ، لما له من حلاوة وما عليه من طلاوة ، فإن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها التي يعجز عن محاكاتها قدر العالمين ، ومعانيه أجل المعانى وأقدسها وأفخمها التي لا يجوز تفسيره بغيرها من معان لا تليق به ولا ترتقى إلى قدسيته ، لذا كان للقرآن عرف خاص ومعانى معهودة لا يصح تفسيره بغيرها ، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه الذى يتطلب تحصيلها من الطرق الصحيحة والمصادر الثابتة على النحو التالى :

أن يطلب تفسير القرآن من القرآن نفسه ، فإن تعذر فبالسنة الصحيحة الثابتة عن المعصوم ﷺ وإن لم يوجد فى الكتاب والسنة فبالرجوع إلى الثابت من أقوال مصابيح الهدى وأرباب التقى الصحابة العدول الذين عاصروا الوحى وشاهدوا التنزيل ، فاجتمع عندهم من أنوار النبوة ومعارف الأمة ما لم يجتمع لغيرهم ، فإن أعوزنا البحث طلبناه من تابعيهم فهم سلف الأمة ومن خير قرونها شهد بذلك نبيها ﷺ فقال : " خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " [1] **. وهذه الطرق هى روافد التفسير بالمأثور أو بتعبير أدق جامع التفسير النقلى ليدخل فيه تفسير القرآن بالقرآن ، لأن القرآن لا يمكن أن نسميه قولا مأثورا والله أعلم .**

---

[1]- صحيح البخارى كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أصحاب النبى ﷺ ٦/٣ ، ط ١ ، دار الحديث ، وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ١٩٦٣/٤ ، ط دار إحياء الكتب العربية ، وسنن الترمذى كتاب المناقب باب ما جاء فى فضل من رأى النبى ﷺ ٦٩٥/٥ ، ط دار إحياء التراث العربى ، ومسند أحمد ٣٧٨/١ ، ط المكتب الإسلامى .

وفي هذه الدراسة لست بصدد الحديث عن منهج متكامل في التفسير بالمأثور بل أجمع ما ورد عن الإمام القفال من روايات مسندة في هذا الباب مع تخريجها والحكم عليها عند علماء الحديث.

المبحث الأول

مرويات الإمام القفال في التفسير بالمأثور وفضائل الآيات والسور

الرويات التى أثرت عن القفال في التفسير بالمأثور قليلة جدا تكاد أن تحصى على أصابع الأيدي وهذا يدل على أن منهجه في التفسير يغلب عليه الرأي والعقل وأكثر هذه الرويات مرفوعة بسنده إلى المعصوم – صلى الله عليه وسلم- ومنها:

أ-استدل الإمام الرازي على أن الوسط في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ([1])هو العدل بالخبر المروي عن القفال الشاشي فقال: واختلفوا في تفسير الوسط وذكروا أمور أحدها :أن الوسط هو العدل والدليل عليه الآية والخبر والشعر والنقل والمعنى أما الآية فقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ ([2])أي أعدلهم وأما الخبر فما رَوَى الْقَفَّالُ عَنِ التَّوْرِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُمَّةً وَسَطًا قَالَ عَدْلًا"([3])

وهذه الرواية حكم بصحتها الكثير من أئمة الحديث بيد أنها بسند مختلف فأخرجوها من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري عن النبي – صلى الله عليه وسلم- أما سند الرواية التى ذكرها الرازي عن القفال لم يروها أحد من المحدثين وفيها انقطاع بين القفال والثوري لبعد الأمد بين الراويين والله أعلم.

ب-وعند تفسير قوله تعالى :" ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ (٤) قال الواحدى –رحمه الله-: قوله "والأرحام" قال قتادة، ومجاهد، والسدي، والضحاك، وابن زيد، والفراء، والزجاج: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، فهي عطف على اسم الله في قوله: "واتقوا الله" والمعنى: واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها وهذا ينبئ بوجوب صلة الرحم. ثم أخرج بسنده أَخْبَرَنَا أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الصُّوفِيُّ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَفَّالُ الشَّاشِيُّ، أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُوسَى بْنِ خَلَفٍ الرَّسْعَنِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سَيَّارٍ، حَدَّثَنِي عِمْرَانُ بْنُ هَارُونَ الرَّمْلِيُّ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ حَيَّانَ، حَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،

---

١ - البقرة : ١٤٣

٢ - القلم : ٢٨

٣ - سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم باب من سورة البقرة ٢٠٧/٥ط دار إحياء التراث العربي بيروت قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح ومسند أحمد ٩/٣ط مؤسسة قرطبة والمستدرك على الصحيحين كتاب التفسيرباب من سورة البقرة٢٩٥/٢ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة١٩٩٠م وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وصحيح ابن حبان باب فضل الأمة ذكر الأخبار بأن هذه الأمة هي من اعدل الأمم أسبابا١٩٩/١٦ط مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية سنى ١٩٩٣م وانظر التفسير الكبير ٨٤/٤

٤ - النساء : ١

قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ لَيُعَمِّرُ بِالْقَوْمِ الدِّيَارَ وَيُكْثِرُ لَهُمُ الأَمْوَالَ، وَمَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ مُذْ خَلَقَهُمْ بُغْضًا، قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بِصِلَتِهِمْ أَرْحَامَهُمْ "([1])

ج-عند تفسير قوله تعالى:"وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي" -الحجر: ٨٧-قال الواحدي وأكثر أهل التفسير على أن المراد بالسبع المثاني فاتحة الكتاب، وهو قول عمر، وعليّ، وابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والربيع، والكلبي، وروي ذلك مرفوعا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.و أخرج الواحدي بسنده أَخْبَرَنَا أَبُو إِبْرَاهِيمَ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ الصُّوفِيُّ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْقَفَّالُ الشَّاشِيُّ، نا الْحُسَيْنُ بْنُ مُوسَى بْنِ خَلَفٍ، نا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْبَلَدِيُّ، نا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، نا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ» ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ([2])

د-وَحكى السمعاني في تفسيره عن القفال وعزاه إلى عطاء بن أبي رباح أن اللمم: هو عزم العبد على الذنب ثم لا يفعله .قال السمعاني :قوله تعالى: "هُوَ أعلم بمن اتَّقى" أَي: هُوَ أعلم بالمتقين. وَعَن عَطاء بن أبي رَبَاح: أن اللمم أن يعزم على الذَّنب ثمَّ لَا يفعل. ذكره الْقفال الشَّاشِي فِي تَفْسِيره.([3])

ثانيا: ما روي عنه في فضائل الآيات والسور:

أ-أخرج الواحدي بسنده عن القفال مرفوعا إلى النبي –صلى الله عليه وسلم في فضل آية الكرسي فقال : أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ النَّصْرَابَاذِيُّ، أَخْبَرَنَا الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَفَّالُ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُوسَى بْنِ خَلَفٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رُزَيْقٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّيْمِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ خَرَقَتْ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فَلَمْ يَلْتَئِمْ خَرْقُهَا حَتَّى يَنْظُرَ اللَّهُ

---

[1] - الوسيط للواحدي٥/٢ ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

والحديث أخرجه الطبراني في الكبير ٨٥/١٢ط مكتبة الزهراء الموصل الطبعة الثانية سنة١٩٨٣م والحاكم فى مستدركه كتاب البر والصلة ١٧٧/٤قال الحاكم قال الحاكم رحمه الله تعالى عمران الرملي من زهاد المسلمين وعبادهم كان حفظ هذا الحديث عن أبي خالد الأحمر فإنه غريب صحيح والبيهقي في شعب الإيمان ٢٢٥/٦ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ومجمع الزوائد للهيثمى ١٥٢/٨ط دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٤٠٧ وقال الهيثمي رواه الطبراني وإسناده حسن

[2] - صحيح البخاري كتاب التفسيرباب ولقد أتيناك سبع من المثاني والقرآن العظيم ١٧٣٨/٤ط دار ابن كثير اليمامة الطبعة الثالثة ١٩٨٧م التفسير الوسيط للواحدي ٥١/٣ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

[3] - تفسير القرآن للسمعاني ٢٩٨/٥دار الوطن، الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

إِلَى قَائِلِهَا فَيَغْفِرَ لَهُ، ثُمَّ يَبْعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيَكْتُبَ حَسَنَاتِهِ وَيَمْحُوَ سَيِّئَاتِهِ إِلَى الْغَدِ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ»([1])

ب-وأخرج الواحدي في تفسيره عن القفال مرفوعا ما جاء في قراءة النبي في صلاة المغرب بسورة التين فقال :أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَاعِظُ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْقَفَّالُ، أنا الْحُسَيْنُ بْنُ مُوسَى بْنِ خَلَفٍ الرَّسْعَنِيُّ، نا عُثْمَانُ بْنُ الصَّيَّادِ، نا سُفْيَانُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، وَمِسْعَرٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ زَادَ مِسْعَرٌ: فَمَا رَأَيْتُ إِنْسَانًا أَحْسَنَ قِرَاءَةً مِنْهُ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ، عَنِ ابْنِ نُمَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ مِسْعَرٍ([2]) . هذا ماوقفت عليه من رويات مأثورة بسند القفال إلى المعصوم – صلى الله عليه وسلم- اختلط فيها الغث بالسمين ، والصحيح بالضعيف ، بل لم يسلم بعضها من الوضع والكذب ، فكان من الأولى أن ينزه تفسيره عن هذه الأباطيل والرويات المختلقة التي لا أصل لها فقد عرف عنه اشتغاله بالحديث وروايته ،فهو شيخ الحاكم أبي عبد الله بن البيع صاحب المستدرك على الصحيحين ، فمثله لا يقع فيما وقع فيه ، ولم يسلم تفسيره أيضا من رواية الإسرائليات والقصص التى هى من صناعة أهل الكتاب و القصاص الذين جاؤوا بكل غريب وعجيب لا يتعلق بالتفسير ولا يترتب على ذكره فائدة وسأبين ذلك بالتفصيل في المبحث التالي

---

[1] -أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات١/١٧٦ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥م قال ابن عدي هذا حديث باطل لا يرويه عن ابن جريج إلا إسماعيل وكان يحدث عن الثقاة الأباطيل وقال ابن حبان يروي الموضوعات عن الثقاة وما لا أصل له عن الأثبات لا تحل الرواية عنه بحال وقال الدارقطني كذاب متروك وقال أبو الفتح الأزدي ركن من أركان الكذب واللآلئ المصنوعة للسيوطي ١/٢١١ط دارالكتب العلميةالطبعة الأولى ١٩٩٦م قال السيوطي باطل آفته إسماعيل والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي١/٣٠٥ط داالفكر الطبعةالثالثة ١٩٨٨م وانظر تفسير الوسيط١/٣٦٦

[2] - رواية مسلم بلفظ " قرأ في العشاء بالتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا منه" صحيح مسسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب القراءة في العشاء١/٣٣٩ط دار إحياء التراث العربي أما هذه الرواية أخرجها الحميدي في مسنده٢/٣١٧ط دار الكتب العلمية ومصنف بن أبي شيبة عن عبدالله بن يزيد١/٣١٤ط مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى١٤٠٩ومجمع الزوائد٢/١١٨ قال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِير وَفِيهِ جَابِرٌ الْجُعْفِيُّ وَثَّقَهُ شُعْبَةُ وَسُفْيَانُ وَضَعَّفَهُ بَقِيَّةُ الْأَئِمَّةِ. وانظر تفسير الوسيط للواحدي٤/٥٢٢

المبحث الثاني

موقفه من رواية الإسرائيليات

قضية الدخيل والإسرئيليات فى التفسير من القضايا التي شغلت الفكر الإسلامى على مدى قرون طويلة وأجيال متعاقبة ، كابدت هموم الباحثين وأثارت عقولهم ، لتعلقها بأصول هذا الدين - القرآن الكريم والسنة المطهرة - وخطورتها على دعوته و لا يزال خطرها متجددا ببقاء هذا النبت الضار فى حقل التفسير مكتنفا لزرعه ، وملتفا بسوقه ومعطبا لثماره.

ويحتاج إلى جهود كثيفة ودراسات عميقة تقاوم آفاته ، وتحارب سمومه ، وتقتلع جذوره ، وبخاصة فى عصرنا هذا الذى ظهرت فيه حملات متعاقبة وأمواج متلاطمة للهجوم على الإسلام والنيل من قدسيته ، وإضعاف أصوله وتقويض أركانه عن طريق إشاعة الأباطيل والخرافات فى تفسير كتاب الله ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾([1])

وتفسير القفال لم يسلم من الدخيل والإسرائيليات فقد نقل عنه شئ من هذا القبيل الإمامان الكرماني والرازي في تفسيريهما وهذه بعض الأمثلة التي تدل على ذلك

أ-عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ([2])"ذكر الكرماني هذه الرواية التى لم أجد لها أصلا في كتب التفسير أو السنة إلا ما نقل عنه وعزاه إلى القفال ونعتها بالغرابة فقال:"قيل: نزلت رخصة للتحري حالة الاشتباه، وقيل: في التطوع على الراحلة.

والغريب: قول القفال: زعمت اليهود، أن الله لما خلق الأرض صعد إلى السماء من الصخرة، فاتخذوها قبلة، والنصارى استقبلوا المشرق لولادة مريم من جهته."([3])

و هذا من مزاعم اليهود المجسمة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا

ب-ذكرالإمام الرازي في تفسير قوله تعالى:﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ([4]) هذه الرواية عن الْقَفَّالُ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ مَرْيَمَ تَكَلَّمَتْ فِي صِبَاهَا كَمَا تَكَلَّمَ الْمَسِيحُ وَلَمْ تَلْتَقِمْ ثَدْيًا قَطُّ، وَإِنَّ رِزْقَهَا كَانَ يَأْتِيهَا مِنَ الْجَنَّةِ.([5]) وهذا كلام موقوف على الحسن لم يثبت رفعه إلى المعصوم – صلى الله عليه وسلم- وهذا القول لا يمكن قبوله والتسليم له لأنه مخالف لما ورد في السنة الصحيحة من حديث أبي هريرة:

---

[1] - سورة التوبة أية ٣٢

[2] - سورة البقرة آية ١١٥

[3] - غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ١/١٧١ط دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة

[4] - سورة آل عمران اية ٣٧

[5] - التفسير الكبير٨/٢٠٦

«لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثلاثة: " لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلاَثَةٌ: عِيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ ...الحديث([1])

ج – عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾([2])

ذكر الإمام الرازي كلاما مسهبا في زمن دخولهم الكهف وخروجهم منه ،ومكان الكهف ، والقول بعدم موتهم إلى يوم القيامة وحكى ذلك عن القفال وغيره فقال :"وقيل: إنهم دخلوا الكهف قبل المسيح وأخبر المسيح بخبرهم ثم بعثوا في الوقت الذي بين عيسى عليه السلام وبين محمد

- صلى اللَّهُ عليه وسلمَ- ، وقيل: إنهم دخلوا الكهف بعد المسيح، وحكى القفال هذا القول عن محمد بن إسحاق. وقال قوم: إنهم لم يموتوا ولا يموتون إلى يوم القيامة.

وأما مكان هذا الكهف، فحكى الْقَفَّالُ عن محمد بن موسى الْخَوَارزْمِيِّ الْمُنَجِّمِ أن الواثق أنفذه ليعرف حال أصحاب الكهف إلَى الروم، قالَ: فوجه ملك الروم معي أقواما إلى الموضع الذي يقال إنهم فيه، قال: وإن الرجل الموكل بذلك الموضع فزعني من الدخول عليهم، قال:فدخلت ورأيت الشعور على صدورهم قال وعرفت أنه تمويه واحتيال وأن الناس كَانوا قد عالجوا تلك الْجثث بالأدوية الْمُجَفِّفة لأبدان الموتى لتصونها عن الْبلَى مثل التلطيخ بالصبر وغيره، ثم قال القفال : والذي عندنا لا يعرف أن ذلك الموضع هو موضع أصحاب الكهف أو موضع آخر، والذي أخبر اللَّهُ عنه وجب القطع به ولا عبرة بقول أهل الروم أن ذلك الموضع هو موضع أصحاب الكهف وعقب الرازي على ما ذكر فقال - وأقول العلم بذلك الزمان وبذلك المكان ليس للعقل فيه مجال، وإنما يستفاد ذلك من نص، وذلك مفقود فثبت أنه لا سبيل إليه.([3])

وأقول مثل هذا الكلام لا برهان عليه ولا فائدة من ذكره فينبغى أن ينزه عنه تفسير الذكر الحكيم والقفال – رحمه الله- عقب على هذه الرويات بالقطع بما أخبر به الله تعالى في كتابه ولا عبرة بقول من لا يوثق بعلمهم من الروم وغيرهم ، فكان الأولى به طرحه وأن لايسود ورقاته بمثل هذا الكلام الذي هو بمنأى عن العلم والفائدة.

---

[1] - صحيح البخاري كتاب الأنبياء بَابُ قَوْلِ اللَّهِ {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا}٣/١٢٦٨وصحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها٤/١٩٧٦ط دار إحياء التراث العربي

[2] - سورة الكهف آية :٢٥، ٢٦

[3] -التفسير الكبير ٢١/٤٥٤

المبحث الثالث

الروايات الواردة عنه في أسباب النزول

سبب النزول : هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثه عنه، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه([1])

والطريق إلى معرفته الرواية الثابتة عن الرسول (ﷺ) أو ما ورد عن الصحابة. إذ إخبارهم عن مثل هذا إذا كان صريحا لا يكون بالرأى، بل له حكم المرفوع؛ قال الواحدى: "ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وَجَدُّوا فِي الطَّلَبِ ([2])

ولقد كان هذا نهج علماء السلف، إذ كانوا يتورعون عن القول فى ذلك دون تثبت.

وقد وردت رويات في أسباب نزول الآيات عن الإمام القفال بأسانيد مرفوعة إلى المعصوم -ﷺ- تبين الأسباب والملابسات التي وقعت زمن نزول الآية وأهميتها فى فهم النصوص وإليك بيان ذلك:

أ- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ ([3]) ذكر الروايات الواردة ([4]) في سبب نزول الآية ثم تأول نزولها على غير سبب ابتداء فقال -رحمه الله-: "قد ذكرنا في سبب

---

١ - انظر الإتقان في علوم القرآن ١١٦/١ط الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٢ - أسباب النزول للواحدي ص٨ط دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

٣ - سورة الإسراء :آية٧٣

٤ -قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ عَطَاءٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلُوهُ شَطَطًا، وَقَالُوا مَتِّعْنَا بِاللَّاتِ سَنَةً وَحَرِّمْ وَادِيَنَا كَمَا حَرَّمْتَ مَكَّةَ شَجَرَهَا وَطَيْرَهَا وَوَحْشَهَا فَأَبَى ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُجِبْهُمْ فَكَرَّرُوا ذَلِكَ الِالْتِمَاسَ، وَقَالُوا إِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَعْرِفَ الْعَرَبُ فَضْلَنَا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ كَرِهْتَ مَا نَقُولُ وَخَشِيتَ أَنْ تَقُولَ الْعَرَبُ أَعْطَيْتَهُمْ مَا لَمْ تُعْطِنَا، فَقُلِ: اللَّهُ أَمَرَنِي بِذَلِكَ فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمْ وَدَاخَلَهُمُ الطَّمَعُ، فَصَاحَ عَلَيْهِمْ عُمَرُ وَقَالَ: أَمَا تَرَوْنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمْسَكَ عَنِ الْكَلَامِ كَرَاهِيَةَ لِمَّا تَذْكُرُونَهُ؟

فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَرَوَى صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» أَنَّهُمْ جَاءُوا بِكَاتِبِهِمْ فَكَتَبَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى ثَقِيفٍ لَا يُعَشَّرُونَ وَلَا يُحْشَرُونَ، فَقَالُوا وَلَا يُجْبَوْنَ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالُوا لِلْكَاتِبِ: اكْتُبْ وَلَا يُجْبَوْنَ وَالْكَاتِبُ يَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَسَلَّ سَيْفَهُ، وَقَالَ:

أسعرتهم قَلْبَ نَبِيِّنَا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَسْعَرَ اللَّهُ قُلُوبَكُمْ نَارًا. فَقَالُوا لَسْنَا نُكَلِّمُكَ إِنَّمَا نُكَلِّمُ مُحَمَّدًا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَرُوِيَ أَنَّ قُرَيْشًا قَالُوا لَهُ: اجْعَلْ آيَةَ رَحْمَةٍ آيَةَ عَذَابٍ وَآيَةَ عَذَابٍ آيَةَ رَحْمَةٍ، حَتَّى نُؤْمِنَ بِكَ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ

وَقَالَ الْحَسَنُ: الْكُفَّارُ أَخَذُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ فَقَالُوا: كُفَّ يَا مُحَمَّدُ عَنْ ذَمِّ آلِهَتِنَا وَشَتْمِهَا فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا كَانَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ بِهَذَا الْأَمْرِ أَحَقَّ مِنْكَ فَوَقَعَ فِي قَلْبِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكُفَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِهِمْ. وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فَهَذِهِ الْآيَةُ مَكِّيَّةٌ،

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَسْتَلِمُ الْحَجَرَ فَتَمْنَعُهُ قُرَيْشٌ وَيَقُولُونَ لَا نَدَعُكَ حَتَّى تَسْتَلِمَ آلِهَتَنَا فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنَّ يَفْعَلَ ذَلِكَ مَعَ كَرَاهِيَةٍ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.انظرالتفسير الكبير ٣٧٨/٢١ وما بعدها والدر المنثور ٣١٨/٥ وتفسير ابن أبي حاتم٢٣٤٠/٧ط مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ

نزول هذه الآية الوجوه المذكورة، وَيمكِن أيضا تأويلها من غير تقييد بسبب يضاف نزولها فيه لأن من المعلوم أن المشركين كانوا يسعَون في إبطال أمر رسول اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بأقصى ما يقدِرون عليه، فتارة كانوا يقولون: إِنْ عَبَدْتَ آلِهَتَنَا عَبَدْنَا إِلَهَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى: ﴿ قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾(١) وَقَوْلُهُ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾(٢) ﴿ وعرضوا عليه الأموال الكثيرة وَالنِّسْوَانَ الجميلة ليترك ادعاء النبوة فأنزل الله تعالى: وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ (٣) وَدَعَوْهُ إِلى طَرْدِ المؤمنين عن نفسه فأنزل الله تعالى قَوْلُهُ: ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾(٤) فيجوز أن تكون هذه الآيات نزلت في هذا الباب وذلك أنهم قصدوا أن يفتنوه عن دينه وأن يُزيلوه عن منهجِه، فبين تعالى أنه يُثَبِّته على الدين القويم والمنهج المستقيم، وعلى هذا الطريق فلا حاجة في تفسير هذه الآيات إلى شيء من تلك الروايات.(٥) ويؤيده في العدول عن هذه الرويات التى قيل أنها سبب في نزول هذه الآية أنها لم ترد بطرق صحيحة ، وأكثرها موقوفة على التابعي ، ولا يقبل في هذا الباب إلا بالسماع المرفوع إلى المعصوم – صلى الله عليه وسلم – ، أو الصحابة الذين شاهدوا الوحي والتنزيل ، ووقفوا على قرائن وأسباب نزول الآيات، وما كان غير ذلك فالأولى طرحه والعدول عنه كما ذهب إلى ذلك القفال رحمه الله.

ب-قال تعالى :﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (٦) ذكر الإمام القفال بسنده المرفوع سبب نزول الآية فقال: أَخْبَرَنَا أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَاعِظُ، أنا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَفَّالُ، أنا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الرَّسْعَنِيُّ، نا جَدِّي، نا الْمُغِيرَةُ، نا عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا جِبْرِيلُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورَنَا، فَنَزَلَ:﴿"وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآيَةَ كُلَّهَا، قَالَ: وَكَانَ هَذَا جَوَابًا لِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ (٧) فهذا نص صريح في سبب نزول الآية ورد بطرق صحيحة ورواه القفال بسند مرفوع إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)

ج-عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٨) روى القفال بسنده خبرا مرفوعا عن علي بن أبي طالب –

---

١ -سورة الْكَافِرُونَ: (١، ٢)
٢ -سورة القلم آية ٩
٣ - طه: ١٣١
٤ - سورة الأنعام :آية ٥٢
٥ - التفسيرالكبير ٣٨٠/٢١
٦ - مريم آية ٦٤
٧ -صحيح البخاري كتاب التفسير باب وما تنزل إلا بأمر بربك١٧٦٠/٤وانظر الوسيط١٨٩/٢
٨ - سورة الشورى :آية٥٢

رضي الله عنه – فقال: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ النَّصْرَابَاذِيِّ، أنا الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَفَّالُ الشَّاشِيُّ، أنا الْحُسَيْنُ بْنُ مُوسَى بْنِ خَلَفٍ الرَّسْعَنِيُّ، نا إِسْحَاقُ بْنُ زُرَيْقٍ، نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ، نا أَبُو سَيَّارٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ النَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " هَلْ عَبَدْتَ وَثَنًا قَطُّ؟ قَالَ: لا.قَالُوا: هَلْ شَرِبْتَ خَمْرًا قَطُّ؟ قَالَ: لا، وَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ أَنَّ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ كُفْرٌ، وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ، وَبِذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ ﴾.([1])

هذه الرواية لم أعثر عليها في كتب السنن والصحاح وهي ليست نصا في السببية بل يفهم منها أن لفظ الرواية وافق القرآن الكريم وما كان كذلك لا يكون سببا لنزول الآيات والله أعلم .

المبحث الرابع

منهج الإمام القفال في فى توجيه القراءات المتواترة

علم توجيه القراءات فن جليل يقصد به فى المقام الأول توثيق الرواية ، ونفى الشبهة عنها ودفع الريب فى سلامتها بإقامة الحجة لها وبيان جزالتها ، وجلالة معانيها يقول الإمام الزركشى – رحمه الله – واصفاً علم توجيه القراءات : " هو فن جليل به تعرف جلالة المعانى وجزالتها وقد اعتنى الأئمة به ، وأفردوا فيه كتباً منها كتاب " الحجة لأبى على الفارسى " وكتاب " الكشف لمكى " وكتاب " الهداية للمهدوى " ([2]) وكل منها قد اشتمل على فوائد، وقد صنفوا أيضا فى توجيه القراءات الشواذ ومن أحسنها كتاب المحتسب لابن جنى وكتاب أبى البقاء " ([3]) والإمام القفال– رحمه الله – له منهج قيم فى توجيه القراءات ، فهو لم يكتف بذكرها وسرد أقوال العلماء فى توجيهها ، بل كانت له نظرته الثاقبة وتوجيهه الخاص به فما من قراءة ذكرها إلا وأدلى بدلوه فى توجيهها وإقامة الحجة لها وإليك بيان ذلك:

أ- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ([4])

اختلفوا في "نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ " في النون والتاء والياء فجاءت القراءات كالتالي:

---

١ - كنز العمال للمتقي الهندي٢/١٢ ٤٠٦ط مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي٧/٣٦٤ط دار الفكر بيروت والوسيط٤/٦٢

[2] -المهدوى محمد بن إبراهيم المهدوى أبو عبد الله فقيه من أهل المهدية بالمغرب نزل بفاس وتوفى بها سنة ٥٩٥ هـ الأعلام ٥/ ٢٩٦

[3] - البرهان فى علوم القرآن ١/٣٣٩ط دار المعرفة بيروت

٤ - (البقرة:٥٨)

أحَدُهَا: قرَأَ أبُو عَمْرٍو وَابْنُ الْمُنَادِي([1]) بالنُّون وَكَسْر الْفَاءِ. وَثَانِيهَا: قرَأَ نَافِعٌ بالْيَاءِ وَفَتْحِهَا. وَثَالِثُهَا: قرَأَ الْبَاقُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بالتَّاءِ وَضَمِّهَا وَفَتْح الْفَاءِ، وَرَابِعُهَا: قرَأَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَأَبُو حَيْوَةَ وَالْجَحْدَرِيُّ بالْيَاءِ وَضَمِّهَا وَفَتْح الْفَاءِ. ([2])

قالَ الْقَفَّالُ: "وَالْمَعْنَى في هذه الْقِرَاءَاتِ كُلِّهَا وَاحِدٌ، لِأَنَّ الْخَطِيئَةَ إِذَا غَفَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَقَدْ غُفِرَتْ وَإِذَا غُفِرَتْ فَإِنَّمَا يَغْفِرُهَا اللَّهُ، وَالْفِعْلُ إِذَا تَقَدَّمَ الِاسْمَ الْمُؤَنَّثَ وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَاعِلِ حَائِلٌ جَازَ التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾([3]،[4])

فهذه القراءات الأربعة ببناء الفعل للمعلوم أو المجهول معناها واحد لأن الذنوب لايغفرها إلا الله و الاختلاف فى حرف المضارعة في التذكير -يُغفَر - أو التأنيث - تُغفَر – لا إشكال فيه للفصل بين الفعل ونائب الفاعل بفاصل فجاز التذكير والتأنيث

واحتج أبو علي الفارسي – رحمه الله لهذه القراءات فقال: "حجة من قال: نَغْفِرْ لَكُمْ بالنون أنه أشكل بما قبله. ألا ترى أنّ قبله:﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ ﴾([5]) فكأنه قال: قلنا ادخلوا، نغفر.

وحجة من قال: يغفر أنه يؤول إلى هذا المعنى، فيعلم من الفحوى أن ذنوب المكلفين وخطاياهم لا يغفرها إلا الله، وكذلك القول في من قرأ: تغفر. إلا أنّ من قال: يغفر لم يثبت علامة التأنيث في الفعل لتقدّمه، كما لم يثبت لذلك في نحو قوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾([6])

ومن قال: تغفر فلأن علامة التأنيث قد ثبتت في هذا النحو نحو قوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ﴾ ([7])

وكلا الأمرين قد جاء به التنزيل قال:﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ وفي موضع ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ ﴾([8]) والأمران جميعا كثيران.([9])

ب- قالى تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ([10])

---

[1] - هوأحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله أبو الحسين البغدادي المعروف بابن المنادي الإمام المشهور حافظ ثقة متقن محقق ضابط، توفي سنة ست وثلاثين وثلاثمائة في المحرم. غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١/٤٤ط مكتبة ابن تيمية

[2] - انظر معجم القراءات د عبد اللطيف الخطيب١/١٠٥ط دار سعد الدين للطباعة والنشرالطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢م

[3] -سورة هود :آية٦٧

٤ - التفسير الكبير٣/٥٢٤

٥ –البقرة: ٥٨

٦ _يوسف ٣٠

٧ -الحجرات ١٤

٨ -الحجر ٨٣

٩ - الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٢/٨٥ط دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م

١٠ - البقرة آية٢١٠

توجيه القراءات الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ "قرأ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَعَاصِمٌ تُرْجَعُ بِضَمِّ التَّاءِ ([1]) عَلَى مَعْنَى تَرَدُ، يُقَالُ: رَجَعْتُهُ أَيْ رَدَدْتُهُ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي ﴾ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ:﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي ﴾ ([2])
وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ:﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾ ([3]) وَقَالَ تَعَالَى:﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً ﴾ ([4])أَيْ رُدَّنِي، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ تَرْجِعُ بِفَتْحِ التَّاءِ أَيْ تَصِيرُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ([5])- وَقَوْلِهِ: إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، وإِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ -هود: ٤، المائدة: ٤٨، الغاشية: ٢٥- ([6]) فقراءة"تَرجع" ببناء الفعل للمعلوم معناها وإليه تصير الأمور وعلى البناء للمفعول"تُرجَع" أى ترد والمعنيان متقاربان.
وللإمام القفال توجيه آخر فقال - رَحِمَهُ اللَّهُ-: "وَالْمَعْنَى فِي الْقِرَاءَتَيْنِ مُتَقَارِبٌ، لِأَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَهُوَ جَلَّ جَلَالُهُ يُرْجِعُهَا إِلَى نَفْسِهِ بِإِفْنَاءِ الدُّنْيَا وَإِقَامَةِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَالَ: وَفِي قَوْلِهِ: تُرْجَعُ الْأُمُورُ بِضَمِّ التَّاءِ ثَلَاثُ مَعَانٍ أَحَدُهَا: هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، وَهُوَ أَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يُرْجِعُهَا كَمَا قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَهُوَ قَاضِيهَا وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَلَى مَذْهَبِ الْعَرَبِ فِي قَوْلِهِمْ: فُلَانٌ يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ، وَيَقُولُ الرَّجُلُ لِغَيْرِهِ: إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَذْهَبُ بِهِ وَالثَّالِثُ: أَنَّ ذَوَاتِ الْخُلُقِ وَصِفَاتِهِمْ لَمَّا كَانَتْ شَاهِدَةً عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ مُحْدَثُونَ مُحَاسَبُونَ، وَكَانُوا رَادِّينَ أَمْرَهُمْ إِلَى خَالِقِهِمْ، فَقَوْلُهُ: تُرْجَعُ الْأُمُورُ أَيْ يَرُدُّهَا الْعِبَادُ إِلَيْهِ وَإِلَى حُكْمِهِ بِشَهَادَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَهُوَ كَمَا قَالَ:﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ ﴾([7]) فَإِنَّ هَذَا التَّسْبِيحَ بِحَسَبِ شَهَادَةِ الْحَالِ، لَا بِحَسَبِ النُّطْقِ بِاللِّسَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ أَيْضًا قَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾([8]) قيل: إن المعنى يسجد له المؤمنون طوعا، ويسجد له الكفار كَرْهًا بِشَهَادَةِ أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ عَبِيدُ اللَّهِ، فَكَذَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْعِبَادَ يَرُدُّونَ أُمُورَهُمْ إِلَى اللَّهِ، ويعترفون برجوعها إليه، أما المؤمنون فبالمقال، وأما الكفار فبشهادة الحال.([9])
فعلى هذا التوجيه يكون الفاعل في قراءة "تُرْجَعُ الْأُمُورُ" بضَمِّ التَّاءِ هو الخالق جل وعلا وذلك بفناء المخلوقات وقضاء الأمور إليه يوم القيامة ، أو الفاعل العباد أنفسهم فهم معترفون بعجزهم وافتقارهم إلى خالقهم في الأمور كلها، فيردون إليه

---

١ - انظر معجم القراءات ٢٨٧/١
٢ -الْكَهْفِ: ٣٦
٣ --الْأَنْعَامِ: ٦٢
٤ --الْمُؤْمِنُونَ: ٩٩- ١٠٠
٥ - -الشُّورَى: ٥٣
٦ - التفسير الكبير ٣٦٢/٥
٧ _ -الجمعة: ١، التغابن: ١
٨ - -الرَّعْدِ: ١٥-
٩ - التفسير الكبير ٣٦٢/٥

كافة أمورهم ،وهذا الاعتراف كما قال الشيخ من العباد كلهم مؤمنهم وكافرهم أما الأول فبلسان الحال والمقال وأما الثاني فبلسان الحال والله أعلم.
ج- قال تعالى:﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١)
قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو قُتِلَ مَعَهُ وَالْبَاقُونَ قَاتَلَ مَعَهُ (٢) فَعَلَى الْقِرَاءَةِ الْأُولَى يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قُتِلُوا وَالَّذِينَ بَقُوْا بَعْدَهُمْ مَا وَهَنُوا فِي دِينِهِمْ، بَلِ اسْتَمَرُّوا عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ وَنُصْرَةِ دِينِهِمْ، فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَالُكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ هَكَذَا.
قَالَ الْقَفَّالُ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَالْوَقْفُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ عَلَى قَوْلِهِ: (قُتِلَ) وَقَوْلُهُ: (مَعَهُ رِبِّيُّونَ) حَالٌ بِمَعْنَى قُتِلَ حَالَ مَا كَانَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ، أَوْ يَكُونُ عَلَى مَعْنَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، أَيْ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ قُتِلَ فَمَا وَهَنَ الرِّبِّيُّونَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ"(٣)
وقال ابن خالويه :"الحجة لمن أثبت الألف: أنه جعل الفعل للربّيّين ، فرفعهم به، لأنه حديث عنهم.
والحجة لمن ضم القاف: أنه جعله فعل ما لم يسم فاعله، وأخبر به عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورفع الربيون بالابتداء، والخبر: معه ودليله قوله: أفَإِنْ ماتَ أوْ قُتِلَ" (٤) فالمعنى على قراءة "قاتل " قاتل ربيون كثير مع أنبيائهم فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وعلى قراءة"قتل" بالبناء للمفعول يكون المعنى وكأين من نبي قتل وكونه معه ربيون كثير، وهنا يكون الوقف على قتل، أو يكون المعنى وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ قُتِلَ فَمَا وَهَنَ الرِّبِّيُّونَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ من باب التقديم والتأخير والله أعلم.
د- قال تعالى :﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾(٥)
"الْجُمْهُورُ قرءوا إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً، أي إثما كبيرا يقال خطىء يخطأ خطأ مثل أثم يَأْثَمُ إِثْمًا قَالَ تَعَالَى: إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ -يُوسُفَ: ٩٧- أَيْ آثِمِينَ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ (خَطَأً) بِالْفَتْحِ يُقَالُ: أَخْطَأَ يُخْطِئُ إِخْطَاءً وَخَطَأً إِذَا أَتَى بِمَا لَا يَنْبَغِي مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، وَيَكُونُ الْخَطَأُ اسْمًا لِلْمَصْدَرِ، وَالْمَعْنَى: عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ أَنَّ قَتْلَهُمْ لَيْسَ بِصَوَابٍ قَالَ

---

١ - أل عمران١٤٦
٢ - السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٢١٧ تحقيق شوقي ضيف ط دار المعارف - مصرالطبعة: الثانية، ١٤٠٠ه
٣ - التفسير الكبير ٣٨٠/٩
٤ - الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص١١٤ ط دار الشروق – بيروت الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ
٥ - الإسراء٣١

الْقَفَّالُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: خِطَاءً بِكَسْرِ الْخَاءِ مَمْدُودَةً وَلَعَلَّهُمَا لُغَتَانِ مِثْلَ دَفْعٍ وَدِفَاعٍ ولبس ولباس.([1])

قال ابن خالويه :قوله تعالى: "كانَ خِطْأً"يقرأ بكسر الخاء وإسكان الطاء والقصر، وبفتحهما والقصر، وبكسر الخاء وفتح الطاء والمدّ. فالحجة لمن كسر وأسكن وقصر: أنه جعله مصدرا لقولهم: خطئت خطأ. ومعناه: أثمت إثما. والحجة لمن فتحهما وقصر: أنه أراد الخطأ الذي هو ضدّ العمد. ودليله قوله تعالى: ﴿وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً" ﴾ ([2]) وقال بعض أهل اللغة: هما لغتان بمعنى، كما قالوا قتب وقتب، وبدل وبدل.

والحجة لمن كسر الخاء وفتح الطاء ومدّ، فوزنه فعال من الخطيئة. وهو مصدر كالصيام والقيام. والعرب تقول: هذا مكان مخطوء فيه من خطئت، ومخطأ فيه من أخطأت، هذان بالهمز ومكان مخطو فيه من المشي بتشديد الواو من غير همز."([3])

فالمعنى على قراءتى " خِطْئًا " و خِطاءً"واحد من الخطيئة بمعنى الذنب والإثم أما قراءة "خطأ" بفتح الخاء فمعناها إن قتلهم ليس بصواب والله أعلم.

ه- قال تعالى :﴿"قالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ ([4]) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ رَشَدًا بِفَتْحِ الرَّاءِ وَالشِّينِ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِضَمِّ الرَّاءِ وَالشِّينِ وَالْبَاقُونَ بِضَمِّ الرَّاءِ وَتَسْكِينِ الشِّينِ([5]) قَالَ الْقَفَّالُ:" وَهِيَ لُغَاتٌ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ يُقَالُ رُشْدٌ وَرَشَدٌ مِثْلَ نُكْرٌ وَنَكْرٌ كَمَا يُقَالُ سُقْمٌ وَسَقَمٌ وَشُغْلٌ وَشَغْلٌ وَبُخْلٌ وَبَخَلٌ وَعُدْمٌ وَعَدَمٌ وَقَوْلُهُ رُشْداً أَيْ عِلْمًا ذَا رُشْدٍ قَالَ الْقَفَّالُ قَوْلُهُ: رُشْداً يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ الرُّشْدُ رَاجِعًا إِلَى الْخَضِرِ أَيْ مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَرْشَدَكَ بِهِ. وَالثَّانِي: أَنْ يَرْجِعَ ذَلِكَ إِلَى مُوسَى وَيَكُونُ الْمَعْنَى عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي وَتُرْشِدَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ.([6]) فمعنى الرشد في القراءات واحد وهو رشاد إلى الحقّ،ودليل على هدى .

وهذه القراءات لغات تكلمت بها العرب فهى سجل وافى للغاتهم التي نزل بها القرآن الكريم ، لا يعدلها شعر أو غيره لأن مصدرها وحى الإله الخالق للغات وأهلها ، وسندها الرواية ودعامتها السماع ، ورواتها يتأثمون من عدم الدقة وقلة الضبط ، ويتحرجون من الخطأ واللحن بخلاف غيرهم . وهذه الأمثلة وأشباهها توضح عناية القفال بتوجيه القراءات لغويا وعزوها لأصولها مشفوعة بذكر معناها ، مع بيان أصلها الاشتقاقى.

---

[1] - التفسير الكبير ٢٠/٣٣١

٢ - النساء:٩٢.

٣ - الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص٢١٧

٤ -الكهف:٦٦

٥ - انظر السبعة في القراءات ص٣٩٤ ومعجم القراءات٥/٢٥٩و٢٦٠

٦ - التفسير الكبير٢١/٤٨٣

المبحث الخامس

موقفه من الآيات التي قيل بنسخها

اعلم أن طريق ثبوت النسخ النقل الصحيح [٥] عن الرسول ﷺ أو عن الصحابى ، لأن الصحابى لا يقول فيه برأيه أو اجتهاده بل رجع فيه إلى حديث مرفوع إلى الرسول ﷺ ، ولابد من التعارض الحقيقى بحيث لا يمكن الجمع بين الدليلين ، لأن النسخ ضرورة لا يصار إليها إلا عند تعذر الجمع ، فإن إعمال الدليلين معا أولى من إعمال دليل وإهمال آخر بلا موجب . والإمام القفال وقف من قضية النسخ موقفا وسطا ونهج منهجا معتدلا من غير تقصير أو مغالاة ، فلم يشذ عن جماعة المسلمين كأبى مسلم الأصفهانى ومن وافقه ممن أنكروا النسخ وزعموا أنه من باب التخصيص ، أو يتوسع فيه بأن يدخل فى النسخ ما ليس منه بناء على توجيهات ضعيفة ويتضح هذا من المثالين التاليين :

المثال الأول : ذكره السمعاني في تفسيره عند قول الله تعالى :﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ([١])

فقال: قَوْله تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُم﴾ قَالَ ربيع بن أنس: بجهدكم وطاقتكم. وروى معمر، عن قتادة أن هَذِه الْآيَة نسخت قَوْله تَعَالَى: ﴿اتَّقوا الله حق تُقَاته﴾([٢]) ومثل هذا عن جماعة من التَّابعين. وَقَالَ جمَاعَة من أهل الْعلم: الأولى أن يُقَال: هذه الآية رخصة وليست بناسخة. وَذكر الْقفال أن هَذِه الْآيَة مبينَة لقَوْله تَعَالَى: -اتَّقوا الله حق تُقَاته- لِأَن الله تَعَالَى لَا يُكَلف نفسا إِلَّا وسعهَا. وذكر مثل ذَلِك على ابن عيسى وغيره.([٣])

قال الشيخ الزرقاني – رحمه الله- "والذي يبدو لنا أنها غير منسوخة لأن الآيتين غير مسلم فإن تقوى الله حق تقواه المأمور بها في الآية الأولى معناها الإتيان بما يستطيعه المكلفون من هداية الله دون ما خرج عن استطاعتهم وقد ورد تفسيرها بأن يحفظ الإنسان رأسه وما وعى، وبطنه وما حوى ويذكر الموت والبلى ولا ريب أن ذلك مستطاع بتوفيق الله فإذن لا تعارض بينها وبين قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا

---

[٥] قال ابن حزم رحمه الله : لا يحل لمسلم أن يقول فى آية ولا حديث بالنسخ إلا عن نص صحيح لأن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ واجبة فإذا كان كلاهما منسوخا فقد سقطت طاعته عنا ، فهذا خطأ ومن ادعى سقوط طاعة الله تعالى وسقوط طاعة نبيه فى مكان ما من الشريعة فقوله مطرود مردود ما لم يأت على صحة دعواه بنص ثابت فإن أتى به فسمعا وطاعة وإن لم يأت به فهو كاذب مفتر إلا أن يكون ممن لم تقم عليهم الحجة فهو مخطئ معذور باجتهاده . الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ٣٨٠/٧ ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز مكتبة عاطف بجوار إدارة الأزهر ، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨ م .

١ - التغابن١٦

٢ - سورة آل عمران آية١٠٢

٣ - تفسير السمعاني٤٥٤/٥

اسْتَطَعْتُمْ ﴾ وحيث لا تعارض فلا نسخ"([1]). ولار يب أن هذا التوفيق والجمع بين الآيتين هو الأولى بالقبول لأن النسخ ضرورة لا يصار إليها إلا إذا تعذر الجمع بين الآيتين فإعمال الآيتين خير من إعمال واحدة و إهمال الأخرى .

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾([2])

قال الواحدي- رحمه الله-: كان هذا قبل نزول آية السيف. قال القفال رحمه الله: الذي عندي أن هذا ليس بمنسوخ والظاهر أنها نزلت عَقِيبَ قِصَّةِ أُحُدٍ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ أمِرُوا بالصَّبْرِ عَلَى مَا يُؤْذُونَ بِهِ الرَّسُولَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -على طريق الأقوال الجارية فيما بيْنهم، واستعمال مُداراتهم في كثير من الأحوال والأمر بالقتال لَا ينافي الأمر بالمصابرة على هذا الوجه، واعلم أن قول الواحدي ضعيف، والقول ما قاله الْقفال.([3]) ولاريب أن الأمر بالصبر والتقوى لاينافى وجوب القتال لاختلاف الأزمنة بينهما، فيحمل الأمر بالصبر والصفح على زمن الضعف والقلة ، والأمر بالقتال على زمن القوة والغلبة وحيث لا تعارض فلا نسخ والله أعلم.

تتمة : للقفال رحمه الله- كلام نفيس في بيان كمال الدين وتقرير معنى النسخ فقال في جوابه عن إشكال قد يفهم من ظاهر قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً﴾([4]) وَهُوَ أَنَّ قَوْلَهُ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يقتضي أن الدين كان ناقصا قبل ذلك، وذلك يوجب أن الدين الذي كَانَ- صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مواظبا عليه أكثر عُمُره كان ناقصا، وأنه إنما وجد الدين الكامل في آخر عمره مدة قَلِيلة.

قال الإمام الرازي- بعد أن ذكر وجهين للخروج من هذا الإشكال-الثالث: وهو الذي ذكره القفال وهو المختار: أن الدين ما كان ناقصا الْبَتَّة، بل كان أبدا كاملا، يعنِي كَانت الشرائع النازلة من عند الله في كل وقت كافيَة في ذلك الوقت، إلا أنه تعالى كان عالما في أول وَقْتِ الْمَبْعَثِ بأن ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا صلاح فيه، فلا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم، وأما في آخر زمان الْمَبْعَثِ فأنزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها إلى يوم القيامة، فالشرع أبدا كان كاملا، إلا أن الأول كمال إلى زمان مخصوص، والثاني كمال إلى يوم القيامة فلأجل هذا المعنى قال: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ.([5])

---

١ - مناهل العرفان في علوم القرآن٢/١٨٨ط دار الفكرالطبعة الأولى سنة١٩٩٦م

٢ -آل عمران١٨٦

٣ - التفسير الكبير٩/٤٥٤

٤ - - المائدة آية٣

٥ - التفسير الكبير ١١/٢٨٧

وهذا قول سديد وفكر رشيد من الإمام القفال يدل على رجاحة عقله وفهمه العميق لنصوص الشرع وهذا ما سنقف عليه بالتفصيل في الحديث عن منهجه فى التفسير بالرأي في الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث

منهج الإمام القفال في التفسير بالرأي

ويحتوي على المباحث الآتية:

المبحث الأول : الرأي في تفسير الإمام القفال

المبحث الثاني: عناية الإمام القفال بذكر وجوه المناسبات بين الآيات

المبحث الثالث :اللطائف والدقائق التفسيرية عند الإمام القفال

المبحث الرابع: بيان الغريب واللغة من مفردات النظم القرآني

المبحث الخامس: عناية الإمام القفال بالتصريف والاشتقاق

المبحث السادس: عناية الإمام القفال في تفسيره بالإعراب

المبحث السابع :الصور البلاغية في تفسير الإمام القفال

المبحث الثامن : الأحكام الفقهية في تفسير الإمام القفال

المبحث التاسع : الصفات الخبرية " الآيات الموهمة للتشبيه " وموقف الإمام منها

المبحث العاشر:ما ورد في تفسير الإمام القفال من اعتزاليات

تمهيد

التفسير بالرأي صنو التفسير بالنقل ، فهما يسيران معا جنبا إلى جنب في تكوين المنهج التكاملى للتفسير فلا تعارض بينهما، ولا غنية بأحدهما عن الآخر ، فمن روافدهما يستقى المفسر مادته التفسيرية لبيان مراد الله من كلامه بقدر الطاقة البشرية ، لذا كان المنهج الأمثل في تصانيف المفسرين هو الجمع بين النقل والرأي ، إذ الاقتصار على المأثور وحده تضييع لجملة من العلم ، ويفوت به المقصود من تدبر آيات الله ، والوقوف على أسرارها ولطائفها قال تعالى :

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١) وقال جل ذكره ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢) وهل يتأتى التدبر بدون أعمال عقل ورجحان فكر ، وهذا ما أراده الإمام على – رضي الله عنه – بقوله في الأثر الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن أبى جحيفة قال : قلت لعلى : هل عندكم من شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن " (١)

يقول الإمام الغزالي – رحمه الله – في الإحياء : " والتدبر في قراءته إعادة النظر في الآية ، والتفهم أن يستوضح من كل أية ما يليق بها كي تنكشف له من الأسرار معان مكتوبة لا تنكشف إلا للمؤمنين ثم قال : ومن موانع الفهم أن يكون قد قرأ

---

١ - سورة ص: أية ٢٩ .

٢ - "سورة محمد :٢٤

(١) صحيح البخارى كتاب الجهاد والسير باب فداء المشركين ج٣ ص ١١١٠ حديث رقم ٢٨٨٢ ط دار ابن كثير اليمامة بيروت سنة ١٤٠٧ هـ الطبعة الثالثة .

تفسيرا ظاهرا واعتقد أن لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي ، وأن من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار فهذا أيضا من الحجب العظيمة "[٢] فالنقل من المتقدمين إذن لا يكون حاجبا دون اجتهاد المتأخرين ومحاولة الفهم والاستنباط ، ومن يقل ذلك فإنما يريد غلق أبواب الاجتهاد ، ويدعو إلى جمود العقل وتخلف الفكر ، فالفتوحات الربانية والمنح الإلهية سيالة لا تقتصر على قوم بأعيانهم ، أو يختص بها أهل زمان دون آخر فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وإذا تقرر هذا فما المراد بالرأي في اصطلاح أهل التفسير ؟

تعريف التفسير بالرأي :

" هو عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول ، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها ، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلى ، ووقوفه على أسباب النزول ، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم ، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر " [١] وما أثر عن الإمام القفال من أقوال تفسيرية نقلها عنه الإمام الرازي وغيره من أئمة التفسير تبين لنا أن السمة الغالبة في تفسيره هو الرأي والاجتهاد ومنهجه فيه يدل على رجاحة العقل وعمق الفكر، والتمكن في الفنون المختلفة، والعلم بلسان العرب ومناحيهم في القول، وتتضح المعالم المنهجية لتفسيره في المباحث التالية.

المبحث الأول

الرأي في تفسير القفال

المنهج السائد في تفسير القفال والسمة البارزة عليه هو الرأي والاجتهاد ويتضح ذلك في كثير من النقول التي أثرت عنه، فكثيرا ما يعدل عن أقوال المفسرين قبله ويذكر رأيه الخاص الذى ربما لم يسبق إليه ، وقد يكون هذا القول خارجا عن ظاهر اللفظ وإليك بيان ذلك:

أ-عند تفسير قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ([١]) ذكر المفسرون أحاديث وآثارا تفهم أن المراد بهذا السياق آدم وحواء. ولا حاجة بنا إلى روايتها لأنها واهية الإسناد معلولة، كما بينه الحافظ ابن كثير في (تفسيره) . قال العلامة القاسمي –رحمه الله- :"وتقبّل ثلة من السلف لها وتلقيها لا يجدي في صحتها شيئا. إذا أصلها مأخوذ من أقاصيص مسلمة أهل الكتاب، كما برهن عليه ابن كثير. وتهويل بعضهم بأنها مقتبسة من مشكاة النبوة، إذ أخرجها فلان وفلان، من تنميق الألفاظ لتمزيق المعاني، فإن المشكاة النبوية أجلّ

---

[٢] إحياء علوم الدين كتاب آداب تلاوة القرآن ج١ ص ٣٣٦ ط دار إحياء الكتب العربية .

[١] التفسير والمفسرون ج١ ص ٢٤٦ ط المكتبة السلفية المدينة المنورة الطبعة الثانية سنة ١٩٧٦م .

[١] -الأعراف آية١٩٠

من أن يقتبس منها إلا كل ما عرفت جودته. إذا علمت ذلك، تبين لك أن من استند إلى تلك الأحاديث والآثار، فذهب إلى أن المراد بالنفس الواحدة وقرينتها، آدم وحواء، ثم أورد على نفسه أنهما بريئان من الشرك، وأن ظاهر النظم يقتضيه، ثم أخذ يؤوله، إما بتقدير مضاف، أي جعل أولادهما له شركاء، فيما آتى أولادهما، وإما بأن المراد جعل أحدهما وهو (حواء) من إطلاق المثنى وإرادة المفرد، وإما بغير ذلك- فإنه ذهب في غير مذهب.- وقد قرر ما ارتضيناه في معنى الآية غير واحد.
قال الحسن البصري، فيما روى عنه ابن جرير: إن الآية عنى بها ذرية آدم، ومن أشرك منهم بعده. وفي رواية عنه: كان هذا في بعض الملل، ولم يكن بآدم. قال ابن كثير: والأسانيد إلى الحسن، في تفسير هذا، صحيحة، وهو من أحسن التفاسير، وأولى ما حملت عليه الآية. قال: ولو كان الحديث المرفوع، في أنها في آدم وحواء، محفوظا عنده من رواية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لما عدل عنه هو ولا غيره، لا سيما مع تقواه وورعه. فهذا يدل على أنه- إن صح- موقوف على الصحابي، لا مرفوع. انتهى."([1])
ويأتي القفال في تفسير هذه الآية برأي لم يسبق إليه ويصوبه الإمام الرازي ويجعله في غاية السداد فيقول:إذا عرفت هذا فنقول: في تأويل الآية وجوه صحيحة سليمة خالية عن هذه المفاسد.
التأويل الأول: ما ذكره القفال فقال: إنه تعالى ذكر هذه القصة على تمثيل ضرب المثل وبيان أن هذه الحالة صورة حالة هؤلاء المشركين في جهلهم، وقولهم بالشرك، وتقرير هذا الكلام كأنه تعالى يقول: هو الذي خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها إنساناً يساويه في الإنسانية، فلما تغشى الزوج زوجته وظهر الحمل، دعا الزوج والزوجة ربهما لئن آتيتنا ولداً صالحاً سوياً لنكونن من الشاكرين لآلائك ونعمائك.
فلما آتاهما الله ولداً صالحاً سوياً، جعل الزوج والزوجة لله شركاء فيما آتاهما، لأنهم تارة ينسبون ذلك الولد إلى الطبائع كما هو قول الطبائعيين، وتارة إلى الكواكب كما هو قول المنجمين، وتارة إلى الأصنام والأوثان كما هو قول عبدة الأصنام.
ثم قال تعالى: "فتعالى الله عَمَّا يُشْرِكُونَ" أي تنزه الله عن ذلك الشرك، وهذا جواب في غاية الصحة والسداد.([2]) فالقفال يرى أن الآية لم يقصد بها أحد بعينه وإنما هي من باب ضرب المثل لتصوير حال المشركين وجهلهم بالقول بالشرك والعدول عن التوحيد وهذا القول لم يسبق إليه واستصوبه الإمام الرازي كما ذكرت آنفا.

---

١ - انظر محاسن التأويل للقاسمي٢٣٦/٥ دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
وتفسير ابن كثير٤٧٦/٣ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩
٢ - التفسير الكبير٤٢٧/١٥ وما بعدها

أ-قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّـهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ ([1]) "يحتمل أن يراد بالميثاق جنس المواثيق أي إذا عقدوا في طاعة الله عهدا لم ينقضوه قال قتادة تقدم الله إلى عباده في نقض الميثاق ونهى عنه في بضع وعشرين آية ويحتمل أن يشير إلى ميثاق بعينه وهو الذي أخذهالله على عباده حين أخرجهم من صلب أبيهم آدم وقال القفال هو ما ركب في عقولهم من دلائل التوحيد والنبوات"([2]) فالقفال يصرف لفظ الميثاق عن ظاهره وهو العهد الموثق إلى معنى عقلي صرف ، وهو دلائل القدرة والتوحيد التى أودعها الله في عقول بنى آدم فكأنها عهد موثق بينهم وبين خالقهم بطاعته وعبادته فوجب عليهم الوفاء بها والله أعلم.

ج- قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ([3]) وتفسير هذه الآية كما ذكره الطبري:" ولو أن شجر الأرض كلها بريت أقلاما (والبَحْرُ يَمُدُّهُ) يقول: والبحر له مداد، والهاء في قوله: (يَمُدُّهُ) عائدة على البحر. وقوله: (منْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ مِا نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ) وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه منه، وهو يكتب كلام الله بتلك الأقلام وبذلك المداد، لتكسرت تلك الأقلام، ولنفذ ذلك المداد، ولم تنفد كلمات الله."([4]) فالمراد بكلمات الله قيل: المواعظ التي أنزلها على عباده وقيل: الكلام القديم .

ولكن القفال هنا خرج عن ظاهر اللفظ وأوَل معنى الكلمات بعجائب صنع الخالق الدالة على وحدانيته وقدرته فقال:" لما ذكر أنه سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض وأنه أسبغ النعم نبه على أن الأشجار لو كانت أقلاما والبحار مدادا فكتب بها عجائب صنع الله الدالة على قدرته ووحدانيته لم تنفد تلك العجائب قال القشيري فرد معنى تلك الكلمات إلى المقدورات وحمل الآية على الكلام القديم أولى والمخلوق لا بد له من نهاية فإذا نفيت النهاية عن مقدوراته فهو نفي النهاية عما يقدر في المستقبل على إيجاده فأما ما حصره الوجود وعده فلا بد من تناهيه والقديم لا نهاية له على التحقيق وقد مضى الكلام في معنى كلمات الله في آخر الكهف وقال أبو علي المراد بالكلمات والله أعلم ما في المقدور دون ما خرج منه إلى الوجود وهذا نحو مما قاله القفال وإنما الغرض الإعلام بكثرة معاني كلمات الله وهي في نفسها غير متناهية وإنما قرب الأمر على أفهام البشر بما يتناهى لأنه غاية ما يعهده البشر من الكثرة لا أنها تنفد بأكثر من هذه الأقلام والبحور.([5])

---

١ - الرعد٢٠

٢ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٣٠٧/٩ط دار الشعب القاهرة وروح المعاني للألوسي١٣٩/١٣ط دار إحياء التراث العربي

٣ - سورة : لقمان٢٧

[4] - جامع البيان ١٥١/٢٠ ط مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م

[5] - الجامع لأحكام القرآن ٧٦/١٤

د- قال تعالى :﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ ([1])

اختلف المفسرون في تسبيح الجمادات هل هو بلسان المقال وأن الله خلق فيها نطقا لا نسمعه أو نفهمه كما قال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾([2])

وقيل التسبيح بلسان الحال فهى تدل بحالها على عظمة القادر وحكمة الخالق فتوجب تسبيحه وتنزيهه عن كل نقص وإلى هذا التأويل ذهب القفال .

قال أبو المظفر السمعاني – رحمه الله -:قوْله تَعَالَى: "يسبح لله" قد بينا معنى التسبيح، وهو تنزيه الرب عن كل ما لا يليق به. ويقال: التسبيح لله هو ذكر الله. وذكر القفال الشاشي: أن معنى تسبيح الجمادات هو ما جعل فيها من دلائل حدثها، وَأن لها صانعا وخالقا. وهذا ليس بصحيح، وقد ذكرنا من قبل ما قاله أهل السنة فيها.([3]) فأنت ترى معي أن إمامنا القفال يميل إلى التأويل العقلي وصرف اللفظ عن ظاهره في بعض النصوص وهذا أقرب إلى المنهج الاعتزالى ،وسأتكلم عن ذلك بالتفصيل في الحديث عن الأيات الموهمة للتشبيه وما نقل عنه من آراء توافق أقوال المعتزلة فى مباحثها والله الموفق.

---

١ - الجمعة آية ١.

٢ - الإسراء:٤٤

٣ - تفسير السمعاني٥/ ٤٣٠

المبحث الثاني

عناية الإمام القفال بذكر وجوه المناسبات بين الآيات

تمهيد : بيان وجوه المناسبات بين الآيات والسور أمر اجتهادى صرف مبني على ما أوتيه المفسر من علم وثقافة واجتهاد وعلو همة وإخلاص الوجهة لله تعالى ، يقول أستاذنا الدكتور جودة المهدى –رحمه الله- : "ولاشك فى اعتبار هذا النوع من قبيل الرأى والاجتهاد فى فهم التنزيل لأن مبناه على إعمال العقل والبحث فى الإطار المعنوى الجامع بين الآيتين لاستخلاص ما يربطهما من مناسبة جلية أو خفية "([1]).

بهذا تظهر علة إيراد مبحث المناسبات بين الآيات والسور فى مباحث التفسير بالرأى . وإليك بعض الأمثلة التي يظهر من خلالها عناية القفال بهذا الفن.

المثال الأول : بيان وجه اتصال قوله تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ([2]) بما قبله من الآيات قالَ القفال - رحمه الله-: يحتمل أن يكون ذلك متصلا بما تقدم من جهة أن المشركين إنما أنفقوا على تلك العساكر أموالا جمعوها بسبب الربا، فلعل ذلك يصير داعيا للمسلمين إلى الإقدام على الربا حتى يجمعوا المال وينفقوه على العسكر فيتمكنون من الانتقام منهم، فلا جرم نهاهم الله عن ذلك ([3]) والتكلف ظاهر في هذا الوجه والمناسبة مستبعدة، فالأولى التنزه عن مثل هذا لخلوه من الفائدة وعدم توقف كبير أهمية عليه.

قال العلامة ابن عاشور – رحمه الله – بعد أن ذكرقول القفال السابق: وهذه مناسبة مستبعدة. وقال ابن عرفة: لما ذكر الله وعيد الكفار عقبه ببيان أن الوعيد لا يخصهم بل يتناول العصاة، وذكر أحد صور العصيان وهي أكل الربا. وهو في ضعف ما قبله، وعندي بادىء ذي بدء أن لا حاجة إلئ اطراد المناسبة، فإن مدة نزول السورة قابلة،لأن تحدث في خلالها حوادث ينزل فيها قرآن فيكون من جملة تلك([4])

المثال الثاني: بيان وجه المناسبة بين قوله تعالى: ﴿"وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ ([5]) بما قبله .

قالَ الْقفَّالُ - رحمه الله-: إنه تعالى لما نهاهم في الآية المتقدمة عن أكل الأموال بالباطل، وعن قتل النفس، أمرهم في هذه الآية بما سهل عليهم ترك هذه المنهيات، وهو أن يرضى كل أحد بما قسم الله له، فإنه إذا لم يرض بذلك وقع في الحسد، وإذا

---

[1] - الواحدى ومنهجه فى التفسير د / جودة المهدى ص ١٩٣.
[2] - سورة آل عمران:١٣٠
[3] - التفسير الكبير٣٦٣/٩
[4] - التحرير والتنويرلابن عاشور ٨٤/٤ط الدار التونسية
[5] النساء :٣٢

وقع في الحسد وقع لا محالة في أخذ الأموال بالباطل وفي قتل النفوس، فأما إذا رضي بما قدر الله أمكنه الاحتراز عن الظلم في النفوس وفي الأموال"([1])

فهذه المناسبة في غاية الوجاهة لأن من يزهد فيما عند الناس ، ويرضى بما قدر الله له من رزق يسهل عليه اجتناب المنهيات السابقة من قتل النفس وأكل أموال الناس بالباطل ،فذكر النهى عن المسبب أولا ثم أتبعه بالنهى عن السبب والحكمة في ذلك ذكرها العلامة أبو حيان فقال: "أنه تعالى لما نهى عن أكل المال بالباطل، وعن قتل الأنفس، وكان ما نهى عنه مدعاة إلى التبسط في الدنيا والعلو فيها وتحصيل حطامها، نهاهم عن تمني ما فضل الله به بعضهم على بعض، إذ التمني لذلك سبب مؤثر في تحصيل الدنيا وشوق النفس إليها بكل طريق، فلم يكتف بالنهي عن تحصيل المال بالباطل وقتل الأنفس، حتى نهى عن السبب المحرض على ذلك، وكانت المبادرة إلى النهي عن الْمُسَبِّبِ آكد لفظاعته ومشقته فبدىء به، ثم أتبع بالنهي عن السبب حسما لمادة الْمُسَبِّب، وليوافق العمل القلبي العمل الخارجي فيستوي الباطن والظاهر في الامتناع عن الأفعال القبيحة."([2])

المثال الثالث : قوله تعالى :﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقاءَنا فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ([3])

ذكر القفال وجه المناسبة في اتصال هذه الآية بما قبلها فقال:"لما وصفهم فيما مر بالغفلة أكد ذلك بأن من غاية غفلتهم أن الرسول متى أنذرهم استعجلوا العذاب فبيّن الله تعالى أنه لا مصلحة في تعجيل إيصال الشر إليهم فلعلهم يؤمنون، أو يخرج من أصلابهم من يؤمن. كانوا عند نزول الشدائد يدعون الله بكشفها كما يجيء في الآية التالية، وفي الرخاء كانوا يستعجلون النبي بالعذاب فقال ما معناه: ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما يعجل لهم الخير ونجيبهم إليه لأميتوا وأهلكوا.([4]) فالمناسبة ظاهرة متسقة تماما بالنظم القرآني.

المثال الرابع : قوله تعالى:﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ ([5])

ذَكَرَ القفال وجه اتصال هذه الآية بما قبلها فقال : " قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ﴾ ليس خطابا مع الرسول عليه السلام بل هو خطاب مع الإنسان المذكور في قوله: ﴿"يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ ([6]) فكان ذلك للإنسان حال ما ينبأ بقبائح أفعاله وذلك بأن يعرض عليه كتابه فَيُقَالُ لَهُ:﴿ اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ ([7]) فإذا أخذ في القراءة تلجلج لسانه من شدة الخوف وسرعة القراءة

---

[1] - التفسيرالكبير ٦٤/١٠ وروح المعاني للألوسي ١٩/٥ ط دار إحياء التراث العربي

[2] - البحر المحيط٦١٦/٣ط دار الفكربيروت سنة ١٤٢٠ هـ

[3] سورة :يونس:١١

[4] - غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري٥٦٦/٣ دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ وفتح القدير ٤٨٧/٢ط دار ابن كثير الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ

[5] - سورة القيامة :١٦

[6] -القيامة: ١٣

[7] - الْإِسْرَاءِ: ١٤

فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به، فإنه يجب علينا بحكم الوعد أو بحكم الحكمة أن نجمع أعمالك عليك وأن نقرأها عليك فإذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه بالإقرار بأنك فعلت تلك الأفعال، ثم إن علينا بيان أمره وشرح مراتب عقوبته، وحاصل الأمر من تفسير هذه الآية أن المراد منه أنه تعالى يقرأ على الكافر جميع أعماله على سبيل التفصيل، وفيه أشد الوعيد في الدنيا وأشد التهويل في الآخرة، ثم قال القفال: فهذا وجه حسن ليس في العقل ما يدفعه وإن كانت الآثار غير واردة به.([1])

قال الإمام السيوطي معقبا على ما سبق:من الآيات ما أشكلت مناسبتها لما قبلها من ذلك قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ الآيات فإن وجه مناسبتها لأول السورة وآخرها عسر جدا فإن السورة كلها في أحوال القيامة حتى زعم بعض الرافضة أنه سقط من السورة شيء، وحتى ذهب القفال فيما حكاه الفخر الرازي أنها نزلت في الإنسان المذكور قبل في قوله: ﴿يُنَبَّأُ الْأِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ ، قال يعرض عليه كتابه فإذا أخذ في القراءة تلجلج خوفا فأسرع في القراءة فيقال له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ إن علينا أن نجمع عملك وأن نقرأ عليك ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ بالإقرار بأنك فعلت ثم إن علينا بيان أمر الإنسان وما يتعلق بعقوبته انتهى. وهذا يخالف ما ثبت في الصحيح([2]) أنها نزلت في تحريك النبي- صلى الله عليه وسلم- لسانه حالة نزول الوحي عليه.([3])

فتوجيه القفال لهذه المناسبة مخالف لما ثبت في الصحيحين بتوجه الخطاب فى الآية للنبي – صلى الله عليه وسلم- وليس كما زعم للإنسان المذكور في أول السورة .

وبعد فهذه طائفة من الأمثلة أثرت عن القفال – رحمه الله- في التفاسير المختلفة ذكرتها لبيان موقفه من ذكر المناسبات بين آيات الذكر الحكيم ، وكيف أن الشيخ أعمل عقله واستفرغ وسعه فى استخراج وجوه المناسبات بين بعض الآيات مما يدل على بصيرته النافذة وهمته العالية فى الوقوف على أسرار ودقائق الكتاب الكريم .

---

١ - التفسير الكبير ٣٠/٧٢٧

[2] - عن بن عباس في قوله تعالى :"لا تحرك به لسانك "قال كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان يحرك شفتيه فقال لي بن عباس أحركهما لك كما كان رسول الله ﷺ يحركهما فقال سعيد أنا أحركهما كما كان بن عباس يحركهما فحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل) لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه (قال جمعه في صدرك ثم تقرؤه) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (قال فاستمع له وأنصت ثم إن علينا أن تقرأه قال فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما أقرأه صحيح البخاري كتاب التوحيد باب لا تحرك به لسانك٦/٢٧٣٦ وصحيح مسلم كتاب الصلاة باب الاستماع للقراءة١/٣٣٠

[3] - الإتقان في علوم القرآن للسيوطى٣/٣٧٦وما بعدها ط الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

المبحث الثالث

اللطائف والدقائق التفسيرية عند القفال

برع الإمام القفال في استخراج اللطائف والنكات التفسيرية ، والوقوف على بعض أسرار التعبير القرآني مما يدل على سعة أفقه وعمق فكره بما منحه الله من ملكة عقلية ومقدرة علمية أكسبته القدرة على استخراج هذه الدقائق ، والوقوف على بعض تلك الأسرار، وهذه بعض الأمثلة لتكون خير شاهد على ذلك :

أ- قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ ﴾ ([1]) قال القفال: انظروا إلى عجيب ما نبه الله عليه من سعة فضله ورحمته في هذا التكليف، فبين أولا أن لهذه الأمة في هذا التكليف أسوة بالأمم السالفة، فإن الأمور الشاقة إذا عمت خفت. ثم بين ثانيا وجه الحكمة في إيجاب الصوم وحصول التقوى. ثم بين ثالثا أنه مختص بأيام قلائل لا بكلها ولا بأكثرها. ثم بين رابعا أنه خصه من الأوقات بالشهر الذي أنزل فيه القرآن ليعلم شرفه فتوطن النفس له. ثم ذكر خامسا إزالة المشقة في إلزامه فأباح تأخيره لمن شق عليه من المسافرين والمرضى إلى زمن الرفاهية والصحة وهي هيئة يكون بها بدن الإنسان في مزاجه وتركيبه بحيث يصدر عنها الأفعال كلها سليمة والمرض زوالها.([2]) فالإمام القفال وقف على مافي الآية من دقائق ولطائف تبين رحمة الله تعالى بعباده وسعة فضله بتكليفه بما يطاق وتيسيره عليهم بالأمور التى استنبطها من نظم الآية الكريمة وما يعقلها إلا العالمون .

ب-ذكر الإمام الرازي عن القفال الحكمة من تخصيص الحج بالذكر في قوله تعالى :﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ ([3]) مع أن الأهلة مواقيت لكثير من العبادات كالصوم وغيره فقال : "واعلم أنا بينا أن الأهلة مواقيت لكثير من العبادات فإفراد الحج بالذكر لا بد فيه من فائدة ولا يمكن أن يقال تلك الفائدة هي أن مواقيت الحج لا تعرف إلا بالأهلة، قالَ تَعَالَى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ ﴾([4]) وذلك لأن وقت الصوم لا يعرف إلا بالأهلة، قالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ ([5]) -وقال عليه السلام-: «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ»([6]) وأحسن الوجوه فيه ما ذكره القفال - رحمه الله-: وهو أن إفراد الحج بالذكر إنما كان لبيان

---

[1] - سورة البقرة:١٨٣و١٨٤

٢ - تفسيرالنيسابوري ٤٩٢/١

٣ - سورة البقرة:آية:١٨٩

٤- سورة البقرة آية :١٩٧

٥- سورة الْبَقَرَةِ: ١٨٥

٦ - صحيح البخاري كتاب الصوم باب باب قول النبي ﷺ إذا رأيتم الهلال فصوموا٦٧٤/٢و صحيح مسلم كتاب الصيام باباب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال٧٥٩/٢

أن الحج مقصور على الأشهر التي عينها الله تعالى لفرضه وأنه لا يجوز نقل الحج من تلك الأشهر إلى أشهر كما كانت العرب تفعل ذلك في النسيء والله أعلم.([1])
فهذه اللطيفة من الدقائق الخفية التي لا يفطن إليها الكثير، وهي تدل على رجاحة عقل إمامنا، وما عليه من فهم ثاقب وسعة أفق ، فهو لا يقف على المعنى الظاهر من اللفظ بل يغوص في أعماقه يستنبط منه ما يحويه من درر ولطائف.
ج- قوله تعالى:﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ ([2]) ذكر الإمام القفال السر في اعتراض جملة ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ بين طرفي الكلام الواحد وهذا في غاية البعد عن كلام البلغاء فضلا عن الذكر الحكيم فقال: يحتمل أن يكون قوله :﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ﴾ كلام أمر الله نبيه أن يقوله عند انتهاء الْحكاية عن اليهود إلى هذا الموضع لأنه لما حكى عنهم في هذا الموضع قولا باطلا لا جرم أدب رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأن يقابله بقول حق، ثم يعود إلى حكاية تمام كلامهم كما إذا حكى المسلم عن بعض الكفار قولا فيه كفر، فَيَقُولُ: عند بلوغه إلى تلك الكلمة آمنت بالله، أو يقول لَا إِلَهَ إِلَّا الله، أو يقول تعالى الله ثم يعود إلى تمام الحكاية فيكون قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى الله﴾ من هذا الباب، ثم أتى بعده بتمام قول اليهود إلى قوله أَوْ﴿ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ ثم أمر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بمحاجتهم في هذا وتنبيههم على بطلان قولهم، فقيل له﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّه﴾ إلى آخر الآية([3]).
د – ذكر الإمام القفال – رحمه الله- الفرق بين العطف بالفاء والواو في قوله تعالى:﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ ([4]) فقال: الوجه في دخول الفاء في بعض ما وقع به القسم، والواو في بعض مبني على الأصل، وهو أن عند أهل اللغة الفاء تقتضي الوصل والتعلق، فإذا قيل: قام زيد فذهب، فالمعنى أنه قام ليذهب فكان قيامه سببا لذهابه ومتصلا به، وإذا قيل: قام وذهب فهما خبران كل واحد منهما قائم بنفسه لا يتعلق بالْآخر .([5]) فهذه الأمثلة توضح المقدرة الفكرية والقوة العقلية عند الشيخ فى استخراج هذه الدقائق التى لا تحصل للمفسر إلا بفتح من الله بعد إمعان النظر وإطالة الفكر والتدبر فى آيات الله الحكيم ، وهذا اللون كما ترى باب عقلى صرف قائم على الفكر والرأى لهذا أدرجته فى مباحث التفسير بالرأى والله أعلم .

---

١ - التفسير الكبير ٢٨٥/٥
٢ - آل عمران:٧٣
٣ - التفسير الكبير ٢٦١/٨
٤ - سورة الْمُرْسَلَاتِ:١
٥ - التفسير الكبير ٧٦٧/٣٠

المبحث الرابع

بيان الغريب واللغة من مفردات النظم القرآني

االناظر في أحوال اللغة العربية وما تشتمل عليه من مواد ثرية ، وكنوز لغوية في مفرداتها وتراكيبها ، وبيان معانيها ، وإعراب كلماتها ، وتصريف اشتقاقها يدرك تمام الإدراك أنها من أهم الأركان التي يعتمد عليها المفسر لكتاب الله ، لأن القرآن عربي ، قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾([1]) وقال جل ذكره:﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ([2]) فيشترط لتفسيره معرفة لغة العرب ، والاستعانة بها في شرح ألفاظه ، وإعراب كلماته وبيان مشتقاته .

أما من يتهجم على مقام القرآن الكريم ، ويقتحم ميدان تفسيره دون أن يتسلح الإنسان بسلاح اللغة فذلك يعرضه للسقوط في غيابات مظلمة تؤدي إلى الإلحاد في آيات الله ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، لذلك حرّم العلماء القول في تفسير كتاب الله على غير العالم بلغات العرب . يقول مجاهد -رحمه الله -: " لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب " ([3]).

ويقول الإمام مالك بن أنس - رحمه الله- : " لا أوتي برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً " ([4]) . فاللغة العربية وفنونها من أهم الأمور التي يحتاج إليها المفسر ، فهل تحقق ذلك في مفسرنا ؟

والإمام القفال -رحمه الله - أوتي حظاً عظيماً وعلماً غزيراً في العلوم اللغوية وآدابها يدل على هذا اعتماد الكثير من أئمة التفسير – لا سيما الفخر الرازي- على توجيهاته اللغوية في بيان الأصل اللغوي والاشتقاقي لألفاظ الذكر الحكيم ،وما تنصرف إليه من معان، وإليك بعض ما نقل عنه في هذا الباب .

<u>أولا :</u>يذكر المعنى اللغوي للفظة ويستدل عليه من القرآن الكريم.

أ-عند تفسير قول الله تعالى :"الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ([5]) يذكر المراد بالخاسرين ويستشهد عليه في مواضع أخرى من كتاب الله فيقول : " وبالجملة أن الخاسر اسم عام يقع على كل من عمل عملا لا يجزى عليه فيقال له خاسر، كالرجل الذي إذا تعنى وتصرف في أمر فلم يحصل منه على نفع قيل له خاب وخسر لأنه كمن أعطى شيئا ولم يأخذ بإزائه ما يقوم مقامه، فسمي الكفار الذين يعملون بمعاصي الله خاسرين قالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

---

[1] - سورة فصلت:٣

٢ - سورة الزخرف:٣

٣ - البرهان في علوم القرآن٢٩٢/١ وما بعدها والإتقان٢٢٩/٢

[4] - البرهان : ١ / ٢٩٣ ، والإتقان : ٢ / ٢٣١

٥ - سورة البقرة ٢٧

الصَّالِحاتِ ﴾([1]) وَقالَ:﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ﴾([2]) والله أعلم. ([3])

ب - قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ([4])

قالَ الْقفَّالُ: أَصْلُ التَّلَقِّي هو التعرض للقاء ثم يوضع في موضع الاستقبال للشيء الْجَائِي ثُمَّ يُوضَعُ مَوْضِعَ الْقبُولِ وَالْأَخْذِ. قالَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ ([5]) ،

أَيْ: تُلَقَّنُهُ. وَيُقَالُ: تَلَقَّيْنَا الْحُجَّاجَ أي اسْتَقْبَلْنَاهُمْ. وَيُقَالُ: تَلَقَّيْتُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنْ فُلَانٍ أَيْ: أَخَذْتُهَا منه. وإذا كان هذا أصل الكلمة وَكَانَ مَنْ تَلَقَّى رجلا فتلاقيا لقي كل واحد صاحبه فأضيف الاجتماع إليهما معا صلح أن يشتركا في الوصف بذلك، فَيُقَالُ: كُلُّ مَا تَلَقَّيْتَهُ فَقَدْ تَلَقَّاكَ فَجَازَ أَنْ يُقَالَ: تَلَقَّى آدَمُ كَلِمَاتٍ أي: أخذها ووعاها واستقبلها بالقبول، وجاز أن يقال: تَلَّقَى كَلِمَاتٌ بالرفع على معنى جاءته عن الله كلمات ومثله قوله: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾- الْبَقَرَةِ: ١٢٤- وفي قراءة ابن مسعود (الظَّالِمُونَ) .([6])

ج – عند تفسير قوله تعالى:﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ([7]) ذكر القفال الفرق بين النعمة بكسر النون وفتحها واستشهد على ذلك من كتاب الله فقال : النِّعْمَةُ بِكَسْرِ النُّونِ الْمِنَّةُ وما ينعم به الرجل على صاحبه. قالَ تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ ﴾ ([8]) وَأَمَّا النَّعْمَةُ بِفَتْحِ النُّونِ فَهُوَ مَا يُتَنَعَّمُ به في العيش، قالَ تَعَالَى:﴿ وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ﴾([9])

د- عند تفسير قوله تعالى :﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾([10])

أما النكال فقال القفال رحمه الله: إنه العقوبة الغليظة الرادعة للناس عن الإقدام على مثل تلك المعصية وأصله من المنع والحبس ومنه النكول عن اليمين وهو الامتناع منها، وَيُقَالُ لِلْقَيْدِ النِّكْلُ، وَلِلِّجَامِ الثَّقِيلِ أَيْضًا نِكْلٌ لِمَا فِيهِمَا مِنَ الْمَنْعِ وَالْحَبْسِ، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالًا وَجَحِيماً﴾ ([11]) وقال الله تعالى: ﴿

---

١ - سورة الْعَصْرِ: ٢، ٣
٢ - سورة الكهف: ١٠٣، ١٠٤
٣ - التفسير الكبير ٣٧٥/٢
٤ - سورة البقرة:٣٧
٥ -سورة النَّمْلِ: ٦
٦ - السابق ٤٦٥/٣
٧ - النَّمْلِ: ٦
٨ - الشُّعَرَاءِ: ٢٢
٩ - الدُّخَانِ: ٢٧
١٠ - البقرة:٦٦
١١ - الْمُزَّمِّلِ: ١٢

وَاللَّـهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾([1]) والمعنى: أنَّا جعلنا ما جرى على هؤلاء الْقوم عقوبة رادعَة لغيرهم أي: لم نقصد بذلك ما يقصده الْآدميون من التَّشَفِّي لأن ذلك إنما يكون ممن تضره المعاصي وتنقص من ملكه وَتؤثر فيه، وأما نحن فإنما نعاقب لمصالح العباد فعقابنا زجر وموعظة. ([2])

ثانيا :يذكر المعنى اللغوي للفظة القرآنية ويستدل عليه من السنة:

مثال ذلك :قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾([3]) قالَ الْقفَّالُ: الأصل في جزى هذا عند أهل اللغة قضى ومنه الحديث أَنَّ رَسُولَ- اللَّهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لِأَبِي بُرْدَةَ بْنِ يَسَارٍ([4]): "تَجْزِيكَ وَلَا تَجْزِي أَحَدًا بَعْدَكَ" ([5])

هَكَذَا يَرْوِيهِ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ: "تَجْزِيكَ" بِفَتْحِ التَّاءِ غَيْرَ مَهْمُوزٍ أَيْ تَقْضِي عَنْ أُضْحِيَّتِكَ وتنوب، ومعنى الآية: أن يوم الْقيامة لا تنوب نفس عن نفس شيئا ولا تحمل عنها شيئا مما أصابها، بل يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه ومعنى هذه النيابة أن طاعة المطيع لَا تقضي على العاصي ما كان واجبا عليه. وقد تقع هذه النِّيَابة في الدنيا كالرجل يقضي عن قريبه وصديقه دَيْنَه ويتحمل عنه، فأما يوم القيامة فإن قضاء الحقوق إنما يقع فيه من الحسنات.([6])

ثالثا :يذكر المعنى اللغوي للفظة القرآنية ويستشهد عليه من الشعر العربي:

مثال ذلك : قال الثعلبي: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ حَبِيبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الْقَفَّالَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ دُرَيْدٍ يَقُولُ: الْأُمُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الرَّايَةُ الَّتِي يَنْصِبُهَا الْعَسْكَرُ، قَالَ قَيْسُ بْنُ الحطيم: -

نَصَبْنَا أُمَّنَا حَتَّى ابْذَعَرُّوا ... وَصَارُوا بَعْدَ أَلْفَتِهِمْ سُلَالَا([7])

رابعا :يذكر أقوال أهل اللغة في الأصل اللغوي للكلمة ثم يختار ماهو أولى منها:

مثال ذلك : ذكر القفال في لفظ الحج أقوالا:

الأول: الحج في اللغة كثرة الاختلاف إلى شيء والتردد إليه، فمن زار البيت للحج فإنه يأتيه أولا ليعرفه ثم يعود إليه للطواف ثم ينصرف إلى مِنًى ثم يعود إليه لطواف الزيارة ثم يعود إليه لطواف الصَّدْر.

---

١ - النِّسَاء: ٨٤

٢ - التفسير الكبير٣/٥٤٢

٣ - سورة البقرة آية ٤٨

٤ - الصواب أبوبردة بن نيار كما ذكر في صحيح مسلم

٥ - صحيح مسلم كتاب الأضاحي باب وقتها بلفظ ولا تجزي جذعة عن أحد بعدك وسنن أبي داود كتاب الضحايا باب مايجزئ من السنن فى الضحايا ٣/٩٦ط المكتبة العصرية صيدا بيروت ومسند أحمد١٥/٢٧ بلفظ تُجْزِئُ عَنْهُ وَلَا تُجْزِئُ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَهُ

[6] التفسير الكبير ٣/٤٩٤

[7]- الكشف والبيان للثعلبي ١/١٢٧ط دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م

والتفسير الكبير١/١٥٧

الثَّانِي: قَالَ قُطْرُبٌ: الحج الحلق يقال: احْجُجْ شَجَّتَكَ، وَذَلِكَ أَنْ يَقْطَعَ الشَّعْرَ مِنْ نَوَاحِي الشجة ليدخل المحجاج فِي الشَّجَّةِ، فيكون الْمَعْنَى: حَجَّ فُلَانٌ أَيْ خلق، قَالَ الْقَفَّالُ وَهَذَا مُحْتَمَلٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾(١) أَيْ حُجَّاجًا وَعُمَّارًا، فَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِالْحَلْقِ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ الْحَجُّ مُسَمًّى بِهَذَا الِاسْمِ لِمَعْنَى الْحَلْقِ.

الثَّالِثُ: قَالَ قَوْمٌ الْحَجُّ الْقَصْدُ، يُقَالُ: رَجُلٌ مَحْجُوجٌ، ومكان محجوج إذا كان مقصودا، ومن ذلك محجة الطريق، فكان البيت لما كان مقصودا بهذا النوع من العبادة سمي ذلك الفعل حجا، قال القفال: والقول الأول أشبه بالصواب لأن قولهم رجل مَحْجُوجٌ إنما هو فيمن يُخْتَلف إليه مرة بعد أخرى، وَكَذَلِكَ مَحَجَّةُ الطَّرِيقِ هو الذي كَثُرَ السَّيْرُ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الْعُمْرَةُ فَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الِاعْتِمَارُ هُوَ الْقَصْدُ وَالزِّيَارَةُ، قَالَ الْأَعْشَى:

وَجَاشَتِ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمُ ... وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ تَثْلِيثِ مُعْتَمِرِ(٢)

وقال قطرب: الْعُمْرَةُ في كلام عَبْدِ الْقَيْسِ: المسجد، وَالْبَيْعَةُ، والكنيسة، قال القفال: وَلَا شبهة في العمرة إذا أضيفت إلى البيت أن تكون بمعنى الزيارة، لأن المعتمر يطوف بالبيت وبالصفا والمروة، ثم ينصرف كالزائر(٣)

مثال آخر:عند تفسير قوله تعالى:﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (٤) ذكر اختلاف أهل اللغة في أصل التفث فقال - فيما نقله عنه الرازي-

أَمَّا قَوْلُهُ: ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ قال الزجاج: إن أهل اللغة لا يعرفون التَّفَثَ إلا من التفسير،

وقال الْمُبَرِّدُ : أصل التَّفَثِ في كلام العرب كل قاذورة تلحق الإنسان فيجب عليه نقضهَا.

والمراد هَاهُنَا قص الشارب وَالْأَظْفَار وَنَتْفُ الْإِبْطِ وَحَلْقُ العانة، والمراد من القضاء إزالة التَّفَثِ، وقال القفال : قَالَ نِفْطَوَيْهِ: سألت أعرابيا فصيحا ما معنى قوله: ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ؟ فقال ما أفسر القرآن وَلَكِنَّا نقول للرجل مَا أَتْفَثَكَ وَمَا أَدْرَنَكَ، ثم قال القفال : وهذا أَوْلَى من قول الزجاج لأن القول قول الْمُثْبِتِ لَا قَوْلُ النَّافِي.(٥)

---

١ - الفتح: ٢٧

٢ - جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص٢١٤ط دار الأرقم بيروت وديوان المتنبي لأبي البقاء العكبري٣/٢١١ط دار المعرفة بيروت

٣ - التفسير الكبير ١٣٧/٤

٤ - الحج : ٢٩.

٥ - السابق ٢٣ /٢٢١و٢٢٢.

خامسا : يذكر الأصل اللغوي للكلمة ويبني عليه حكما فقهيا:
مثال ذك: قال أهل اللغة: معنى الدُّلُوكِ في كلام العرب الزَّوَالُ ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار دالكة، وقيل لها إذا أفلت دَالِكَة لِأَنَّهَا فِي الْحَالَتَيْنِ زَائِلَة. هَكَذَا قَالَهُ الْأَزْهَرِيُّ .
وقال القفال: أصل الدُّلُوكِ الْمَيْلُ، يقال: مَالَتِ الشَّمْسُ لِلزَّوَالِ، وَيُقَالُ: مَالَتْ لِلْغُرُوبِ، إذا عرفت هذا فنقول: وجب أن يكون المراد من الدلوك هاهنا الزوال عن كبد السماء وذلك لأنه تعالى علق إقامة الصَّلَاةِ بالدُّلُوكِ، وَالدُّلُوكُ عبارة عن الميل والزوال، فوجب أن يقال إنه أول ما حصل الميل والزوال تعلق به هذا الحكم فلما حصل هذا المعنى حال ميلها من كبد السماء وجب أن يتعلق به وجوب الصلاة وذلك يدل على أن المراد من الدُّلُوك في هذه الآية ميلها عن كبد السماء وهذه حجة قوية في هذا الباب اسْتَنْبَطْتُهَا بناء على ما اتفق عليه أهل اللغة: أن الدُّلُوكَ عبارة عن الميل والزوال.
والله أعلم . ([1])
سادسا: يذكر قوله في الأصل اللغوي للمفردة القرأنية دون أن يعضده بأقوال أخرى:
مثال ذلك : الأصل اللغوى للطامة في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ ([2])
قال القفال:أَصْلُ الطَّمِّ الدَّفْنُ وَالْعُلُوُّ، وَكُلُّ مَا غَلَبَ شَيْئًا وَقَهَرَهُ وَأَخْفَاهُ فَقَدْ طَمَّهُ، وَمِنْهُ الْمَاءُ الطَّامِي وهو الكثير الزائد، وَالطَّاغِي وَالْعَاتِي وَالْعَادِيُّ سواء وهو الخارج عن أمر الله تعالى الْمُتَكَبِّرُ، فَالطَّامَّةُ اسْمٌ لِكُلِّ دَاهِيَةٍ عَظِيمَةٍ يُنْسَى مَا قَبْلَهَا فِي جنبها.([3])
مثال آخر: يذكر القفال-رحمه الله- الأصل اللغوي لكلمة منفكين في قوله تعالى:﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾([4])
فيقول:الِانْفِكَاكُ هُوَ انْفِرَاجُ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ وَأَصْلُهُ مِنَ الْفَكِّ وَهُوَ الْفَتْحُ وَالزَّوَالُ، ومنه فككت الكتاب إذا أزلت ختمه ففتحته، ومنه فكاك الرهن وهو زوال الانغلاق الذي كان عليه ألا ترى أن ضد قوله: انْفَكَّ الرَّهْنُ، ومنه فكاك الأسير وفكه، فثبت أن انفكاك الشيء عن الشيء هو أن يزيله بعد التحامه به، كالعظم إذا انفك من مَفْصله، والمعنى أنهم مُتَشَبِّثُونَ بدينهم تَشَبُّثًا قويا لا يُزيلونه إلا عند مجيء الْبَيِّنَةِ ([5])
سابعا: يذكر الفروق اللغوية بين ألفاظ النظم القرآني:

---

١ - التفسير الكبير ٣٨٢/٢١ وما بعدها.
٢ - آية٣٤سورة النازعات .
٣ - التفسير الكبير ٤٨/٣١
٤ - سورة البينة:١
٥ التفسير الكبير ٢٣٩/٣٢

مثال ذلك :عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ([1])
ذكر الإمام القفال القفال- رحمه الله- الفرق بين الضلال والنسيان ، ورجحه الرازي بعد أن ذكر اختلاف المفسرين في ذلك فقال: "اختلفوا في قوله: "لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسى" فقال بعضهم معنى اللفظين واحد أي: لا يذهب عليه شيء ولا يخفى عليه وهذا قول مجاهد والأكثرون على الفرق بينهما، ثم ذكروا وجوها. أحدها: وهو الأحسن ما قاله القفال لا يضل عن الأشياء ومعرفتها وما علم من ذلك لم يَنْسَهُ فاللفظ الأول إشارة إلى كونه عالما بكل المعلومات واللفظ الثاني وهو قوله: ولا ينسى دليل على بقاء ذلك العلم أبد الآباد وهو إشارة إلى نَفْي التَّغَيُّر.
وثانيها: قال مقاتل: لا يخطِئ ذلك الكتاب ربي ولا ينسى ما فيه.
وثالثها: قال الحسن: لا يخطئ وقت البعث ولا ينساه.
ورابعها: قال أبو عمرو : أصل الضلال الْغَيْبُوبَة والمعنى لا يغيب عن شيء ولا يغيب عنه شيء.
وخامسها: قال ابن جرير: لَا يخطئ في التدبير فيعتقد في غير الصواب كونه صوابا وإذا عرفه لا ينساه وهذه الوجوه متقاربة والتحقيق هو الأول.([2])
مثال آخر :ذكر الإمام القفال الفرق بين الرأفة والرحمة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ([3]) فالأولى مبالغة في رحمة خاصة والثانية اسم جامع لكل أنواع الرحمة فبينهما عموم وخصوص مطلق وهذا اختيار الفخر الرازي والعلامة ابن عاشور.
قال صاحب التحرير والتنوير -رحمه الله- : "والرأفة مُفَسَّرَةٌ بالرحمة في إطلاق كلام الجمهور من أهل اللغة وعليه درج الزجاج وخص المحَقِّقون من أهل اللغة الرأفة بمعنى رحمة خاصة، فقالَ أبُو عمرو بن العلاء: الرأفة أكثر من الرحمة أي أقوى أي هي رحمة قوية، وهو معنى قول الجوهري الرأفة أشد الرحمة، وقال في "الْمُجْمَل:" الرأفة أخص من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهية والرحمة تقع في الكراهية للمصلحة، فاستخلص القفال من ذلك أن قال: الفرق بين الرأفة والرحمة أن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وإزالة الضر كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾([4]) ، وأما الرحمة فاسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه الإفضال والإنعام اهـ. وهذا أحسن ما قيل فيها واختاره الفخر وعبد الحكيم وربما كان مشيرا إلى أن بين الرأفة والرحمة عموما وخصوصا مطلقا([5])

---

١ - سورة طه آية٥٢
٢ - التفسير الكبير ٦٠/٢٢
٣ سورة البقرة:١٤٣
٤ - سورة النور:٢
٥ - التحرير والتوير ٢٥/٢

فالإمام القفال كان بصيرا بدقائق اللغة عالما بالفروق اللغوية بين مفرداتها التي يظن البعض أنها من باب المترادفات ولكنها في الحقيقة غير ذلك ، وهذا الفن يحتاج إلى الفهم الثاقب والإحاطة بدقائق اللغة وأسرارها وما يعقلها إلا العالمون .
فجملة ما سبق يوضح مدى عناية القفال في بيان أصل الاستعمال اللغوي للمفردات القرآنية وأهميته في تحصيل المعنى المراد في النظم القرآني ، والاستشهاد عليها بطرق مختلفة، ثم هو لا يكتفي ببيان الأصل اللغوي للفظة القرآنية بل يبحث في مادتها والحروف التي تتألف منها ،
فيذكر الأصل الاشتقاقي وتصريف الكلمة وهذا ما سأبينه في المبحث التالي إن شاء الله تعالى.

المبحث الخامس

عناية الإمام القفال بالتصريف والاشتقاق

التصريف : عبارة عن علم يبحث فيه عن أحكام بنية الكلمة العربية ، وما لحروفها من أصالة وزيادة ، وصحة وإعلال وشبه ذلك ، ولا يتعلق إلا بالأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة ، فأما الحروف وشبهها فلا تعلق لعلم التصريف بها

قال ابن مالك- رحمه الله -:

حرفٌ وشِبْهُهُ من الصرف بري ...وما سواهما بتصريف حري([1])

والاشتقاق هو : رد لفظ إلى آخر لموافقته في الحروف الأصلية ومناسبة في المعنى([2])

ولا يرتاب ذو لب في أهمية علم التصريف والاشتقاق لمن يتصدى لتفسير كتاب الله ، فمن فاته علمه ولج في بحر عميق بغير إدراك لمهارة السباحة ، فقد أدى الجهل بهذا الأمر إلى ركوب أغلاط شنيعة في التفسير ، فمن ذلك ما زعمه بعضهم في معنى قوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾([3]) حيث فسر قوله " بإمامهم " " بأنه جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف "([4]).

فهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر ، وفي ذلك يقول الإمام الزركشي رحمه الله : ومعرفة التصريف من العلوم التي يحتاج إليها المفسر .

قال ابن فارس ([5]): " من فاته علمه فاته المعظم لأنا نقول " وجد " كلمة مبهمة فإذا صرفناها اتضحت فقلنا في المال " وُجْدا " وفي الضالة " وجداناً " وفي الغضب " موجدة " وفي الحزن " وَجْداً " قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾([6]) ، وقال ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾([7]) ، فانظر كيف تحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل([8]).

ولما كان الأمر من الأهمية بمكان فقد أولى الإمام القفال عناية بالغة بالتصريف والأصل الاشتقاقي للمفردات القرآنية في تفسيره ويتضح ذلك في الأمثلة التالية :

---

[1] - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ص ٣٤٤ ط المعاهد الأزهرية ١٩٩٢م .

[2] - المزهرفي علوم اللغة وأنواعها للسيوطي : ١ / ٣٤٦ . دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م

[3] - سورة الإسراء آية : ٧١ .

[4] - انظر : البرهان في علوم القرآن : ١ / ٢٧٩ ، والإتقان : ٢ / ٢٣١ ، ط دار عالم المعرفة

[5] - ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب اللغوي أصله من قزوين وكان مقيماً بهمذان كان شافعياً فتحول مالكياً ، توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالري . طبقات المفسرين للداودي : ١ / ٦٠ .

[6] - الجن:١٥

٧ - سورة الحجرات آية : ٩.

٨ - البرهان : ١ / ٢٩٧ .

أ- يرى الإمام القفال رحمه الله – أن لفظ الجلالة "الله" اسم جامد ليس بمشتق وهو اسم تفرد به المولى جل وعلا لا يشركه فيه أحد ،وإليك ما نقله عنه الإمام الواحدي فقال:"وأما الله فإن كثيرا من العلماء ذهبوا إلى أن هذا الاسم ليس بمشتق، وأنه اسم تفرد به الباري سبحانه، يجري فِي وصفه مجرى أسماء الأعلام، لا يشركه فِيهِ أحد، قال الله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (١) أي: هل تعلم أحدا يُسَمَّى اللهَ غيره؟وهذا القول يحكى عن الخليل بن أحمد، وابن كيسان، وهو اختيار أبي بكر القفال الشاشي.

والأكثرون ذهبوا إلى أنه مشتق من قولهم: «ألَهَ إلاهة» . أي: عبد عبادة، وكان ابن عباس يقرأ ويذرك وإلاهتك، قال: معناه: عبادتك.ويقال: تألّه الرجل.إذا نسك ،قال رؤبة: سبحن واسترجعن من تألهي (٢) ومعناه: المستحق للعبادة، وذو العبادة: الذي إليه تُوجَّهُ العبادةُ وبها يُقْصَدُ، وقال أبو الهيثم الرازي: الله أصله "إلاه" ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ (٣) ولا يكون إلها حتى يكون لعابده خالقا ورازقا ومدبرا وعليه مقتدرا، فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عُبد عُبد ظلما، بل هو مخلوق ومتعبد. قال: وأصل إله: "ولاه" ، فقلبت الواو همزة كما قالوا للوشاح: إشاح.(٤)

أ- ذكر الإمام الرازي -رحمه الله - اختلاف أهل اللغة ومنهم القفال في اشتقاق لفظ "الصفا" في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥) فقال : "اعلم أن الصفا والمروَة علمان للجبلين المخصوصين إلا أن الناس تكلموا في أصل اشتقاقهما قال القفال -رحمه الله-: قيل إن الصفا واحد ويجمع عَلَى صِفِيٍّ وَأَصْفَاءٍ كَمَا يُقَالُ عَصَا وَعِصِيٌّ، وَرَحَا وَأَرْحَاءٌ

قالَ الراجز:

كَأَنَّ مَتْنَيْهِ مِنَ النَّفِيِّ ... مَوَاقِعُ الطَّيْرِ مِنَ الصَّفِيِّ(٦)

وقد يكون بمعنى جمع واحدته صَفَاةٌ قال جرير:

إِنَّا إِذَا قَرَعَ الْعَدُوُّ صَفَاتَنَا ... لَاقَوْا لَنَا حَجَرًا أَصَمَّ صَلُودَا (٧)

وفي كتاب الخليل: الصَّفَا الْحَجَرُ الضَّخْمُ الصُّلْبُ الْأَمْلَسُ، وَإِذَا نَعَتُوا الصَّخْرَةَ قَالُوا: صَفَاةٌ صَفْوَاءُ، وَإِذَا ذَكَّرُوا قَالُوا: صَفًا صَفْوَانٌ: فَجَعَلَ الصَّفَا وَالصَّفَاةَ كَأَنَّهُمَا فِي مَعْنًى وَاحِدٍ.

---

١ - مريم: ٦٥

٢ - انظر خزانة الأدب لابن حجة الحموي٦/٣٦٤ط دار ومكتبة الهلال الطبعة الأولى١٩٨٧م

٣ - المؤمنون: ٩١

٤ - الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ١/٦٤ ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م

٥ - البقرة:١٥٨

٦ - البيت ذكره الرازي في تفسيره ٤/١٣٥ولم أعثر عليه فى كتب اللغة والأدب

٧ - ديوان جرير ص١٦١

وقال المبرد: الصَّفَا كل حجر لا يخالطه غيره من طين أو تراب متصل به، واشتقاقه من صفا يصفوا إذا خَلُصَ([1])

ج- عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَآتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبيثَ بالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبيراً ﴾ ([2]) ذكر الإمام الرازي عن صاحب الكشاف – رحمه الله – سؤالا يرد على جمع يتيم على يتامى وفعيل تجمع على فُعْلَى؟ ثم أعقبه بجواب الزمخشري والقفال عليه فقال : هاهنا سؤال وهو أن يقال: كيف جمع اليتيم على يتامى؟ وَالْيَتِيمُ فَعِيلٌ، وَالْفَعِيلُ يُجْمَعُ عَلَى فُعْلَى، كَمَرِيضٍ وَمَرْضَى وَقَتِيلٍ وَقَتْلَى وَجَرِيحٍ وَجَرْحَى، قال صاحب الكشاف : فيه وجهان:

أحدهما: أن يقال: جَمْعُ الْيَتِيمِ يَتْمَى، ثُمَّ يُجْمَعُ فُعْلَى عَلَى فُعَالَى، كَأَسِيرٍ وَأَسْرَى وَأُسَارَى.

والثاني: أن يقال: جَمْعُ يَتِيمٍ يَتَائِمُ، لِأَنَّ الْيَتِيمَ جَارٍ مَجْرَى الْأَسْمَاءِ نَحْوُ صَاحِبٍ وَفَارِسٍ، ثُمَّ يُقْلَبُ الْيَتَائِمُ يَتَامَى.

قال القفال -رحمه الله-: وَيَجُوزُ يَتِيمٌ وَيَتَامَى، كَنَدِيمٍ وَنَدَامَى، وَيَجُوزُ أَيْضًا يَتِيمٌ وأيتام كشريف وأشراف.([3]) فهذه بعض الأمثلة التي وقفت عليها لبيان عناية الإمام القفال بالاشتقاق والتصريف وأثر ذلك على المعنى اللغوي والتفسيري للآيات

---

[1] - التفسير الكبير ١٣٥/٤

[2] - (النساء٢)

[3] - السابق٤٨٢/٩وانظر الكشاف٤٦٣/١ دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

المبحث السادس

عناية الإمام القفال في تفسيره بالإعراب

علم النحو من أجلّ العلوم وأشرفها لتعلقه بأقدس الكتب وسنة إمام الرسل ، فهو الأداة لصون اللسان عن اللحن والمُقوِّم له من اللُكْنة([1]) ، والمحافظ على العربية من العجمة ، وهذه ركائز أصيلة للمحافظة على كتاب الله وسنة رسوله من اللحن والتحريف .

قال ابن هشام الأنصاري رحمه الله : " إن أوْلى ما تقترحه القرائح وأعلى ما تَجْنَحُ إلى تحصيله الجوانح ، ما يتيسر به فهم كتاب الله المُنْزَل ، ويتضح به معنى حديث نبيه المُرْسَل ، فإنهما الوسيلة إلى السعادة الأبدية ، والذريعة إلى تحصيل المصالح الدينية والدنيوية ، وأصل ذلك علم الإعراب والهداية إلى الصواب " ([2]).

والسبب الرئيس في تدوين قواعد النحو هو خدمة كتاب الله ، فما دونه أبو الأسود الدؤلي إلا ليدفع به اللحن الناشئ عن اختلاط العرب بالعجم ، إذ سمع من أحدهم وهو يقرأ أول سورة براءة ﴿ إن الله بريء من المشركين ورسوله ﴾ بكسر لام رسوله فهاله ذلك واستعظمه فقال : عز وجه الله أن يتبرأ من رسوله وقام بتدوين قواعد النحو " ([3]).

فالعلاقة وطيدة بين تفسير كتاب الله ومعرفة قواعد النحو إذ لا يتسنى لأحد أن يقدم على تفسير آية من كتاب الله وهو غير عالم بقواعده إذ هو الطريقة لمعرفة التفسير . وإليك بعض الأمثلة التي تدل على عناية القفال بالإعراب في تفسيره:

أ- يذكر أقوال النحاة في إعراب الآية ثم يرجح بينها :

مثال ذلك: قوله تعالى:﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ ([4]) قال الأخفش: قوله "بَغْياً بَيْنَهُمْ" من صلة قوله اختلف والمعنى: وَمَا اخْتَلَفُوا بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، وقال غيره: المعنى وَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِلَّا لِلْبَغْيِ بَيْنَهُمْ، فيكون هذا إخبارا عن أنهم إنما اختلفوا للبغي، وقال القفال: وهذا أجود من الأول، لأن الأول: يوهم أنهم اختلفوا بسبب ما جاءهم من العلم، والثاني: يفيد أنهم إنما اختلفوا لأجل الحسد والبغي.([5])

---

١ - اللكنة : عي وثقل اللسان عجمة في اللسان وعي . انظر مختار الصحاح للرازي مادة لكن ١ / ٢٥١ ط مكتبة لبنان بيروت تحقيق محمود خاطر .

٢ - مقدمة مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ص ٨ مكتبة محمد علي صبيح ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

٣ - انظر أسباب تدوين علم النحو في هميان الزاد : ٧ ثاني / ١٨ .ط وزارة الثقافة والتراث سلطنة عمان

٤ -أية ١٩ آل عمران

٥ - التفسير الكبير ١٧٣/٧

مثال آخر: قوله تعالى :﴿"لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا" ﴾ (١) "قرأ الحسن ومالك بن دينار وجماعة والمقيمون على العطف وكذا هو في حرف عبد الله وأما حرف أبي فهو فيه والمقيمين كما في المصاحف واختلف في نصبه على أقوال ستة أصحها قول سيبويه بأنه نصب على المدح أي وأعني المقيمين قال سيبويه هذا باب ما ينتصب على التعظيم ومن ذلك والمقيمين الصلاة وأنشد وكل قوم أطاعوا أمر سيدهم إلا نميرا أطاعت أمر غاويها ويروى أمر مرشدهم الظاعنين ولما يظعنوا أحدا والقائلون لمن دار نخليها وأنشد لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأزر قال النحاس وهذا أصح ما قيل في المقيمين وقال الكسائي والمقيمين معطوف على ما قال النحاس قال الأخفش وهذا بعيد لأن المعنى يكون ويؤمنون بالمقيمين وحكى محمد بن جرير أنه قيل له إن المقيمين ها هنا الملائكة عليهم السلام لدوامهم على الصلاة والتسبيح والاستغفار واختار هذا القول وحكى أن النصب على المدح بعيد لأن المدح إنما يأتي بعد تمام الخبر وخبر الراسخين في أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما فلا ينتصب المقيمين على المدح قال النحاس ومذهب سيبويه في قوله والمؤتون رفع بالابتداء وقال غيره هو مرفوع على إضمار مبتدإ أي هم المؤتون الزكاة وقيل والمقيمين عطف على الكاف التي في قبلك أي من قبلك ومن قبل المقيمين وقيل المقيمين عطف على الكاف التي في إليك وقيل هو عطف على الهاء والميم أي منهم ومن المقيمين وهذه الأجوبة الثلاثة لا تجوز لأن فيها عطف مظهر على مضمر مخفوض وأصح هذه الأقوال قول سيبويه وهو قول الخليل وقول الكسائي هو اختيار القفال والطبري والله أعلم(٢)

ب- يذكر القفال مافي الآية من إضمار أوعود ضمير ويوجه الإعراب والمعنى عليه ومن أمثلة ذلك :

-قولُهُ تعالى:﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾(٣)

قال القفال : في الآية إضمار، والتقدير: فَحَلَلْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (٤) أيْ: فَأَفْطَرَ فَعِدَّةٌ، وفيها إضمار آخر، وذلك لأن قوله: "فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ" كلام غير تام لا بد فيه من إضمار، ثم فيه احتمالان: أحدهما: أنْ يُقَالَ: مَحَلُّ، مَا: رَفْعٌ، وَالتَّقْدِيرُ: فَوَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَا اسْتَيْسَرَ

---

١ - سورة النساء: ١٦٢

٢ - الجامع لأحكام القرآن ١٥/٦

٣ -آية ١٩٦سورة البقرة

٤ -الْبَقَرَةِ: ١٨٤

والثاني: قال الفراء: لَوْ نَصَبْتَ على معنى: اهْدُوا مَا تَيَسَّرَ كان صوابا، وأكثر ما جاء في القرآن من أشباهه مرفوع . ([1])
-قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ([2])
قال السمين:"وقوله تعالى: "وَلَوْ كَانُوا" : الظاهر أن اسم "كان" وفاعل "اتخذوهم" عائد على "كثيراً" من قوله: "ترى كَثِيراً مِّنْهُمْ" والضمير المنصوب في "اتَّخذوهم" يعود على "الذين كفروا" في قوله: "يَتَوَلَّوْنَ الذين كَفَرُواْ" وأجاز القفال أن يكون اسم "كان" يعود على "الذين كفروا" وكذلك الضميُ المنصوب في "اتَّخذوهم" والضميُ المرفوع في "اتخذوهم" يعود على اليهود، والمراد بالنبي محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والتقدير: ولو كان الكافرون المُتَوَلّون مؤمنين بمحمد والقرآن ما اتخذهم هؤلاء اليهود أولياءَ، قال السمين – رحمه الله- والأولُ أوْلى لأن الحديثَ عن كثيرٍ لا عن المتولَّيْن.([3])
-قوله تعالى :" ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾([4]) والضمير في "إِنَّهُ" للقرآن والفصل الفاصل بين الحق والباطل كما قيل له "فرقان" . وقال القفال: أراد إن هذا الذي أخبرتكم به من قدرتي على الرجع كقدرتي على الإبداء قول حق. ([5]) قال الشنقيطي – رحمه الله- وسياق السورة يشهد لهذا القول الثاني لأن السورة كلها في معرض إثبات القدرة على البحث وإعادة الإنسان بعد الفناء"([6]) فهذه الأمثلة تدل على عناية القفال –رحمه الله- بالإعراب وتوجيه المعنى عليه وهو لم يكتف بالمنقول عن النحاة بل له اختياراته وتوجيهاته الخاصة به المنبئة عن رسوخه فى هذا العلم .

---

١ - التفسير الكبير ٣٠٤/٥
٢ -المائدة: ٨١
٣ - الدر المصون ٣٨٧/٤ط دار القلم دمشق
٤ -الطارق:١٣
[5] - تفسير النيسابوري ٤٨١/٦
[6] - أضواء البيان للشنقيطي ٤٩٥/٨ط دار الفكر سنة ١٩٩٥م

المبحث السابع

الصور البلاغية في تفسير الإمام القفال

البلاغة هي : بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخل والتلخيص الممل . وفي الاصطلاح : البلاغة ملكة نفسانية يقتدر بها الإنسان على تأدية المعنى إفادة ودلالة [١]

وعلوم البلاغة من أرفع المطالب وأنفع المآرب ، فهي أجل العلوم شأناً ، وأبينها تبياناً ، إذ هي الكفيلة بإيضاح حقائق التنزيل ، وإفصاح دقائق التأويل ، وبيان دلائل الإعجاز ، ورفع معالم الإيجاز ، فعلوم البلاغة من أهم الشروط الواجب توافرها لمن يتصدى لتفسير كتاب الله .

يقول الإمام الزركشي رحمه الله : " وهذا العلم أعظم أركان المفسر ، فإنه لابد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز ، وتأليف النظم ، وأن يؤاخي بين الموارد ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك ... واعلم أن معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير المُطلع على عجائب كلام الله تعالى ، وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة ، ولاشك أن هذه الصناعة تفيد قوة الإفهام على ما يريد الإنسان ويراد منه ليتمكن بها من اتباع التصديق به وإذعان النفس له " [١] . بهذا يتضح الصلة الوثيقة والعلاقة الوطيدة بين علوم البلاغة وكتاب الله العزيز فهي تبرز جواهر تراكيبه ولآلئ معانيه وأسرار إعجازه وقد نقل عن إمامنا القفال – رحمه الله- ما يبين عنايته الخاصة بهذا الفن وتأويل الآيات وفق صوره وأساليبه التى يقتضيها المعنى والمقام ومن أمثلة ذلك

أ-قوله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾([١]) أي: لا من أجل الامتثال للأمر وخوف العار فقط بل من أجل الرحمة لهما بأن لا تزال تذكر نفسك بالأوامر والنواهي وبما تقدّم لهما من الإحسان إليك والمقصود المبالغة في التواضع وهذه استعارة بليغة.

قال القفال: وفي تقريره وجهان:

<u>الأوّل:</u> أن الطائر إذا أراد ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه فلهذا صار خفض الجناح كناية عن جنس التربية فكأنه قال للولد أكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك، كما فعلا ذلك بك حال صغرك.

<u>والثاني :</u>أنّ الطائر إذا أراد الطيران نشر جناحيه ورفعهما ليرتفع وإذا أراد ترك الطيران خفض جناحيه ولم يرفع فجعل خفض الجناح كناية عن التواضع واللين.([٢])

---

[١] شرح التلخيص لأكمل الدين البابرتي ص ١٣٢ ، ١٣٣ تحقيق د/ محمد مصطفى رمضان صوفية ، ط المنشأة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس ، ليبيا الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

[١] البرهان في علوم القرآن : ١ / ٣١١ ، ٣١٢ .

[١] - الإسراء : ٢٤

[٢] - السراج المنير للخطيب الشربيني ٢٩٧/٢ط مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرةسنة ١٢٨٥ هـ

وتعقب العلامة أبو السعود –رحمه الله – هذا التوجيه الثاني فقال : واخفض لهما جناحك الذليل أو جُعل لذله جَناحٌ كما جَعل لبيدٌ في قوله:

وغداةِ ريح قد كشفت وقرة ...إذا أصبَحَتْ بيد الشَّمال زمامُها([1])

للقرة زماماً وللشمال يدا تشبيها له بطائر يخفض جناحَه لأفراخه تربية لها وشفقة عليها وأما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام ([2])

وقال العلامة الطاهر ابن عاشور – رحمه الله- "وخفض الجناح تَمثيل للرفق والتواضع بحال الطائر إذا أراد أن ينحطّ للوقوع خفض جَنَاحَهُ يُرِيدُ الدُّنُوَّ، وكذلك يصْنع إذا لَاعَبَ أنثاه فهو رَاكِنٌ إلى المسالمة والرفق، أو الذي يَتَهَيَّأُ لِحَضْنِ فِرَاخِهِ. وفي ضمن هذه التمثيلية استعارة مكنية، والجناح تخييل. وقد بسطناه في سورة الإسراء في قوله:﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ ([3]) وقد شاعت هذه التمثيلية حتى صارت كالمثل في التواضع واللين في المعاملة. وضد ذلك رفع الجناح تمثيل للجفاء والشدة.([4])

وقال في موضع آخر: وصيغ التعبير عن التواضع بتصويره في هيئة تذلل الطائر عند ما يعتريه خوف من طائر أشد منه إذ يخفض جناحه مُتَذَلِّلًا. ففي التركيب استعارة مكنية والجناح تخييل بمنزلة تخييل الأظفار للمنية في قول أبي ذُؤَيْبٍ:

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ([5])

وبمنزلة تخييل اليد لِلشَّمَالِ- بِفَتْحِ الشِّينِ- وَالزِّمَامِ لِلْقُرَّةِ فِي قَوْلِ لَبِيدٍ:

وَغَدَاةَ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وَقَرَّةً ... إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا

ومجموع هذه الاستعارة تمثيل." ([6])

فهذه استعارة تمثيلية شبه هيئة المتواضع الذليل بهيئة الطائر عند خفض الجناح تهيئا لضم فراخه أوتلطفا بأنثاه رفقا ومسالمة أو عند الخوف تذللا وتواضعا ثم حذف المشبه به وهو الطائر وأدلى إليه بشئ من لوازمه وهو خفض الجناح على سبيل الإستعارة التمثيلية المكنية والله أعلم. ب-قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾([7])

"فتقعد" أي: توجد كالمقعد "ملوماً" أي: بليغ الرسوخ فيما يلام بسببه عند الله لأنّ ذلك مما نهى الله عنه عند نفسك وعند الناس لأنه يلوم نفسه وأصحابه أيضاً

---

[1] ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص١٠٤

[2] - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ١٩٦/٥ وما بعدها ط دار إحياء التراث العربي بيروت

[3] - الإسراء : ٢٤

[4] - التحرير والتنوير٨٣/١٤

[5] - انظر حمهرة أشعار العرب ٢٠٥/١ ومعاهدة التنصيص على شواهد التلخيص ١٦٣/٢ ط عالم الكتب بيروت سنة١٩٤٧م تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد

[6] -- التحرير والتنوير٧٠/١٥وما بعدها

[7] - الاسراء :٢٩

يلومونه على تضييع المال بالكلية. "محسوراً" أي: منقطعاً بك لذهاب ما تقوى به. قال القفال: شبه حال من أنفق كل ماله بمن انقطع في سفره بسبب انقطاع مطيته لأنّ ذلك المقدار من المال كأنه مطية تحمل الإنسان إلى آخر الشهر والسنة، كما أنّ ذلك البعير يحمله ويبلغه إلى آخر المنزل فإذا انقطع ذلك البعير بقي في وسط الطريق عاجزاً متحيراً فكذلك الإنسان إذا أنفق مقدار ما يحتاج إليه في مدّة شهر في أقل منه بقي في وسط ذلك الشهر عاجزاً متحيراً ومن فعل ذلك لحقه اللوم من أهله والمحتاجين إلى إنفاقه عليهم بسبب سوء تدبيره وترك الحرم في مهمات معاشه ([1])

فقوله تعالى" محسورا" فيه تشبيه حال من أصبح لا مال له من الإسراف والتبذير بحال المحسور في السفر، الذي انقطع عن أهله، كما انقطع هذا عن ماله فأصبح عاجزا كليلا بعد أن كان غنيا ميسورا من سوء تدبيره وحماقة تصرفة في المال وهو تشبيه بليغ حذف فيه وجه الشبه و أداة التشبيه.

ج-قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ ([2]) قال القفال: أصل اللباس هو الشيء الذي يلبسه الإنسان ويتغطى به، فَيَكُونُ ذَلِكَ مُغَطِّيًا لَهُ، فلما كان الليل يغشى الناس بِظُلْمَتِهِ فَيُغَطِّيهِمْ جُعِلَ لباسا لهم، وهذا السَّبْت سُمِّيَ اللَّيْلُ لِبَاسًا على وجه المجاز، والمراد كون اللَّيْلِ سَاتِرًا لَهُمْ.([3])

وقال صاحب التحرير والتنوير: "فيجوز أن يكون اللباس محمولا على معنى الاسم وهو المشهور في إطلاقه، أي: ما يلبسه الإنسان من الثياب فيكون وصف الليل به على تقدير كاف التشبيه على طريقة التشبيه البليغ، أي :جعلنا الليل للإنسان كاللباس له، فيجوز أن يكون وجه الشبه هو التغشية.([4])

فقوله تعالى و جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً أي كاللباس في السترفحذف أداة التشبيه ووجه الشبه وهو ما يسمى بالتشبيه البليغ.

فالصور البيانية التى ذكرها القفال من إستعارة وتشبيه ومجاز تبين الذوق البلاغي عند القفال ووقوفه على جماليات اللفظ وعمق المعنى وهو أيضا يقف على أساليب النظم القرآني ومثال ذلك: قوله تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ ([5])

تقدير هذا الكلام. يقول الله للمؤمن: يا أيتها النفس فإما أن يكلمه إكراما له كما كلم موسى عليه السلام أو على لسان ملك، وقال القفال: هذا وإن كان أمرا في الظاهر لكنه خبر في المعنى، والتقدير أن النفس إذا كانت مطمئنة رجعت إلى الله،

---

١ - السراج المنير ٢/٣٠٠
٢ - النبأ : ١٠
٣ - التفسير الكبير٣١/١٠
٤ - التحرير والتنوير٣٠/٢٠
٥ - الفجر ٢٧ - ٢٨

وقال الله لها:﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ ([1]) قال: ومجيء الأمر بمعنى الخبر كثير في كلامهم، كقولهم: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ.([2])

المبحث الثامن

الأحكام الفقهية في تفسير الإمام القفال

الإمام القفال رحمه الله من أئمة الفقه الشافعي وله الفضل في انتشار مذهبه في بلاد خرسان ، ولم يكن من المقلدين في كل الأحكام الفقهية بل كان له اجتهاداته الخاصة به التى تفرد بها عن علماء الشافعية ، ومن أمثلة ما نقل عنه في كتب التفسير ما يأتى :

أ- اختلفوا في المبيت بالمزدلفة هل هو من أركان الحج الذي لا يصح إلا بها أم هو واجب يجبر بدم قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى :﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾([3]) والمشاعر هي المعالم الظاهرة، وإنما سميت المزدلفة المشعر الحرام، لأنها داخل الحرم، وهل الوقوف بها ركن في الحج لا يصح إلا به، كما ذهب إليه طائفة من السلف وبعض أصحاب الشافعي منهم القفال وابن خزيمة لحديث عُرْوَةَ بْنِ مُضَرِّسٍ([4]) أو واجب كما هو أحد قولي الشافعي يجبر بدم؟ أو مستحب لا يجب بتركه شيء كما هو القول الآخر؟ في ذلك ثلاثة أقوال للعلماء لبسطها موضع آخر غير هذا، والله أعلم.([5])

فالقفال – رحمه الله- يرى أن المبيت بمزدلفة ركن لا يصح الحج إلا به فلا يجوز تركه أو جبره بدم .

ب- أجاز القفال – رحمه الله – الجمع بين الصلاة في غير سفر لعذر كمرض ونحوه قال الألوسي – رحمه الله-: مسألة الجمع بين الصلاة في غير سفر ومنهم من قال هو محمول بالجمع بعذر المرض أو نحوه مما هو في معناه من الأعذار وهذا هو قول الامام أحمد والقاضي حسين من الشافعية واختاره منهم الخطابي

---

[1] - الفجر : ٣٠

[2] السابق ١٦١/٣١ : قوله :"إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ" جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ ٢٢٦٨/٥

٣ - سورة البقرة آية١٩٨

٤ - عن عروة بن مضرس الطائي قال أتيت رسول الله ﷺ بالموقف يعني بجمع قلت جئت يا رسول الله من جبل طى ء أكللت مطيتي وأتعبت نفسي والله ما تركت من حبل إلا وقفت عليه فهل لي من حج فقال رسول الله ﷺ من أدرك معنا هذه الصلاة وأتى عرفات قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد تم حجه وقضى تفثه" الحديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب المناسك باب من لم يدرك عرفة١٩٦/٢وسنن الترمذي كتاب الحج باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج ٢٣٧/٣ قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح

٥ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤١٣ط دار الكتب العلمية

والمتولي والروياني وقال النووي هو المختار في التأويل ومذهب جماعة من الأئمة جواز الجمع في الحضر للحاجة لمن لا يتخذه عادة وهو قول ابن سيرين وأشهب من أصحاب مالك وحكاه الخطابي عن القفال الشاشي الكبير من أصحاب الامام الشافعي وعن أبي إسحق المروزي وعن جماعة من أصحاب الحديث واختاره ابن المنذر ويؤيده ظاهر ما صح عن ابن عباس ورواه مسلم أيضا أنه لما قال جمع رسول الله بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر([1]) قيل له لم فعل ذلك فقال أراد أن لا يحرج أحدا من أمته وهو من الحرج بمعنى المشقة فلم يعلله بمرض ولا غيره ويعلم مما ذكرنا من قول الترمذي في آخر كتابه ليس في كتابي حديث أجمعت الأمة على ترك العمل به إلا حديث ابن عباس في الجمع بالمدينة من غير خوف ولا مطر وحديث قتل شارب الخمر في المرة الرابعة ناشيء من عدم التتبع نعم ما قاله في الحديث الثاني صحيح فقد صرحوا بأنه حديث منسوخ دل الإجماع على نسخه وقال ابن الهمام إن حديث ابن عباس معارض بما في مسلم من حديث التعريس أنه قال ليس في النوم تفريط إنما التفريط في اليقظة أن يؤخر الصلاة حتى يدخل وقت صلاة أخرى([2]) وللبحث في ذلك مجال ([3]) فالقفال يرى جواز الجمع بين الصلاة في غير خوف لعذر كمرض ونحوه.

ج- أجاز القفال رحمه الله صرف الزكاة في جميع وجوه الخير كبناء المستشفيات والمنافع العامة إلى غير ذلك وهذا ما رجحه الرازي في تفسيره

قال الرازي: "واعلم أن ظاهر اللفظ في قوله "وفي سبيل الله"لا يوجب قوله وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ القصر على كل الغزاة، ولذا نقل القفّال في (تفسيره) عن بعض الفقهاء جواز صرف الصدقات إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى، وبناء الحصون، وعمارة المساجد، لأن قوله وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ عامّ في الكل.انتهى.([4])

د- استدل القفال على وجوب قطع يد النباش بقوله تعالى "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥المرسلات) "ونقل عن القفال انه قال دلت الآية على وجوب قطع يد النباش من حيث انه تعالى جعل الأرض كفات الميت فتكون حرز او السارق من الحرز يجب عليه القطع "([5])

قال القاسمي: قال إلكيا الهراسي: عنى بالكفات الانضمام. ومراده أنها تضمهم في الحالتين. وهذا يدل على وجوب مواراة الميت فلا يرى منه شيء. وقال ابن عبد

---

[1] - صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الجمع بين الصلاتين في الحضر ٤٩٠/١وسنن أبي داود كتاب الصلاةباب الجمع بين الصلاتين ٦/٢

[2] - صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب قضاء الصلاة الفائتة٧٤٣/١ وسنن أبي داود كتاب الصلاة باب فيمن نام عن الصلاة١٢١/١

[3] - روح المعاني ١٣٣/١٥ وما بعدها

[4] - انظر التفسير الكبير٨٧/١٦ وتفسير القاسمي٤٨٣/٥

[5] - روح البيان٢٨٦/١٠

البرّ: احتج ابن القاسم في قطع النباش بهذه الآية. لأنه تعالى جعل القبر للميت كالبيت للحيّ، فيكون حرزا. انتهى.
ونقله القفّال عن ربيعة. – قال القاسمي معقبا على ما سبق - وعندي أن مثل هذا الاحتجاج من الإغراق في الاستنباط وتكلف التماس ما يؤيد المذهب المتبوع كيفما كان، مما يعد تعسّفا وتعصّبا. وبين فحوى الآية وهذا الاستنباط ما بين المنجد والمتهم.([1]) فهذه الأمثلة ونحوها تدل على اجتهاد الإمام القفال في الفروع ، وأنه لم يكن مقلدا بل له أراؤه واجتهاداته الخاصة به والله الموفق

المبحث التاسع

الصفات الخبرية ([2]) " الآيات الموهمة للتشبيه " وموقف الإمام منها

بادئ ذى بدء أقول : إنه من الركائز العقدية فى قلوب الموحدين ، والمعلومة من الدين بالضرورة ، والتى لا يصح إيمان المرء إلا بها الاعتقاد بكماله تعالى ، وانه سبحانه يجب له كل كمال يليق بذاته المقدسة وكمالاته تعالى لا تتناهى ولا يكتنهها وصف ولا يحيط بها علم ، وتنزيهه تعالى عن كل نقص تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، ومخالفته تعالى للحوادث فهو :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾([3]) والهدف المشترك بين السلف ([4]) والخلف([5]) فى هذا المقام هو التنزيه المطلق لله تعالى عن مشابهة الحوادث مع اختلاف المنهج المتبع لدى الفريقين ، فالسلف آثروا التفويض وإثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من غير تكييف أو تمثيل أو تحريف أو تعطيل ، فهم يؤمنون بالصفات الواردة فى كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه

---

[1] - تفسير القاسمي ٣٨٤/٩

[2] - تحرير معنى الصفات الخبرية : " هى تلك الصفات الإيجابية الواردة فى الكتاب والسنة ، وليست داخلة فى السبعة انظر لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسى ص ٣٦ بشرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين . الصفات السبعة : هى الحياة والإرادة والقدرة والعلم والسمع والبصر والكلام النفسى

٣ - سورة الشورى آية ١١ .

٤ - السلف هم الجيل الذين أكرمهم الله بشرف الصحبة فتلقى عن الرسول مشافهة أو سماعا فعاصروا نزول الوحى وتبليغ الرسالة وهم أهل الصدر الأول الذين وصفهم الرسول بأنهم خير القرون ، أما السلفية فيراد بها المعتصمون بالمنهج الذى سار عليه سلف الأمة من أهل القرون الأولى فى مسائل الاعتقاد وأصوله كما فى القرآن والحديث فآمنوا بها كما وردت بلا تأويل ولا تعطيل ولا تحريف عن ظاهرها . انظر منهج السلف بين العقل والتقليد د / محمد السيد الجليند ص ٧ و ص ٨ مطبعة العمرانية سنة ١٩٩٤ وانظر الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل د / محمد السيد الجليند ص ٥٢ القاهرة .الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٩٧٣ م

٥ - الخلف هم من كانوا بعد الخمسمائة وقيل من بعد القرون الثلاثة انظر المختار من شرح البيجورى على الجوهرة ص ١٠٣ .

وسلم – على وفق ما أراده الله تعالى منها . يقول الإمام الشافعى – رضى الله عنه – " أمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد رسول الله – صلى الله عليه وسلم" "([1]) .أما الخلف فسلكوا طريق التأويل فى النصوص الواردة بها وتبعهم في ذلك إمامنا القفال وإليك بعض ما نقل عنه في هذا الباب.

أ-عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ([2]) ذكر الإمام الرازي اختلاف المفسرين في بيان حقيقة الكرسي وصفاته ثم قال والقول الرابع: ما اختاره القفال، وهو أن المقصود من هذا الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه، وتقريره أنه تعالى خاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم من ذلك أنه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفونَ ببيوت ملوكهم وأمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر في الحجر الأسود أنه يمين الله في أرضه ثم جعله موضعا للتقبيل كما يقبل الناس أيدي ملوكهم، وكذلك ما ذكر في محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين، فعلى هذا القياس أثبت لنفسه عرشا، فقالَ : "﴿ الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾ ([3]) ثم وصف عرشه فقال : ﴿ وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ ﴾ ([4]) ثُمَّ قالَ: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ ([5]) وَقالَ: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ ﴾ ([6]) وَقالَ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ ([7]) ثم أثبت لنفسه كرسيا فقالَ: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ.([8])

فالقفال – رحمه الله – سلك مسلك التأويل وأن الكرسي ليس المراد به حقيقته بل هو معدول عنها، وهو من باب التصوير لعظمة الله وكبريائه وعبر عنها بالكرسي تقريبا لعقول الخلق ، فخوطبوا بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم من ذلك، وهذا صرف للكلام عن ظاهره بدون موجب لذلك ، فقد حدثنا القرآن عن الكرسي و سعته

---

١ - لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسى ص ٣٦ بشرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين .
٢ - سورة البقرة : ٢٥٥
٣ - سورة البقرة آية١٩٨
٤ - هُود: ٧
٥ - -الزُّمَر: ٧٥
٦ - " -الْحَاقَّةِ: ١٧
٧ - -غَافِر: ٧
٨ -التفسير الكبير١٣/٧

وجاءت السنة الصحيحة ببيان وصفه ([1]) وأنه جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة يسع السماوات والأرض.
قال الإمام الرازي – رحمه الله- : واعلم أن لفظ الكرسي ورد في الآية وجاء في الأخبار الصحيحة أنه جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة ولا امتناع في القول به فوجب القول باتباعه ([2])
ب-وكما تأول القفال معنى الكرسي وجعله من باب التصوير للعظمة والكبرياء للملك القهار تأول معنى العرش والاستواء عليه وجعله كناية عن نفس الملك واستقراره فقال :عند تفسير قوله تعالى :﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ ([3]) العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال: ثُلَّ عرشه أي: انتفض ملكه وفسد. وَإِذَا استقام له ملكه واطراد أمره وحكمه قالوا: استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه هذا ما قاله القفال. وأقول – الرازي رحمه الله-: إن الذي قاله حق وصدق وصواب ونظيره قولهم للرجل الطويل: فلان طويل النجاد وللرجل الذي يكثر الضيافة كثير الرماد وللرجل الشيخ فلان اشتعل رأسه شيبا وليس المراد في شيء من هذه الألفاظ إجراؤها على ظواهرها إنما المراد منها تعريف المقصود على سبيل الكناية فكذا هاهنا يذكر الاستواء على العرش والمراد نفاذ القدرة وجريان المشيئة ثم قال القفال -رحمه الله تعالى-: والله تعالى لما دل على ذاته وعلى صفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي ألفوه من ملوكهم ورؤسائهم استقر في قلوبهم عظمة الله وكمال جلاله إلا أن كل ذلك مشروط ينفى التشبيه فإذا قال: إنه عالم فهموا منه أنه لا يخفى عليه تعالى شيء ثم علموا بعقولهم أنه لم يحصل ذلك العلم بفكرة ولا روية ولا باستعمال حاسة وإذا قال: قادر علموا منه أنه متمكن من إيجاد الكائنات وتكوين الممكنات ثم علموا بعقولهم أنه غني في ذلك الإيجاد والتكوين عن الآلات والأدوات وسبق المادة والمدة والفكرة والروية وهكذا القول في كل صفاته وإذا أخبر أن له بيتا يجب على عباده حجه

---

[1] - عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَيْكَ أَفْضَلُ؟ ، قَالَ: " آيَةُ الْكُرْسِيِّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ (٣) وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ ، كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ "صحيح ابن حبان باب ذِكْرُ الِاسْتِحْبَابِ لِلْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ حَظٌّ رَجَاءَ التَّخَلُّصِ فِي الْعُقْبَى بِشَيْءٍ مِنْهَا٧٦/٢ط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعةالثانية سنة ١٩٩٣م وانظر السلسة الصَّحِيحَة٢٢٦/١ ط مكتبة المعارف الرياض قال الألباني: وجملة القول: أن الحديث بهذه الطرق صحيح وخيرها الطريق الأخير والله أعلم. والحديث خَرَجَ مَخْرَجَ التفسير لقوله تعالى: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} ، وهو صريح في كون الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه جُرْمٌ قائم بنفسه ، وليس شيئا معنويا ، ففيه ردٌّ على من يتأوله بمعنى المُلك ، وسعة السلطان، كما جاء في بعض التفاسير ، وما رُوي عن ابن عباس أنه العلم ، فلا يصح إسناده إليه. أ. هـ

[2] - التفسير الكبير ١٣/٧

٣ - الأعراف:٥٤

فهموا منه أنه نصب لهم موضعا يقصدونه لمسألة ربهم وطلب حوائجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم نفي التشبيه وأنه لم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه ولم ينتفع به في دفع الحر والبرد بعينه عن نفسه فإذا أمرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه أنه أمرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا بعقولهم أنه لا يفرح لذلك التحميد والتعظيم ولا يغتم بتركه والإعراض عنه إذا عرفت هذه المقدمة فنقول: إنه تعالى أخبر أنه خلق السموات والأرض كما أراد وشاء من غير منازع ولا مدافع ثم أخبر بعده أنه استوى على العرش أي حصل له تدبير المخلوقات على ما شاء وأراد فكان قوله: ثم استوى على العرش أي بعد أن خلقها استوى على عرش الملك والجلال. ثم قال القفال: والدليل على أن هذا هو المراد قوله في سورة يونس:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾([1]) فَقَوْلُهُ: يُدَبِّرُ الْأَمْرَ جَرَى مَجْرَى التَّفْسِيرِ لِقَوْلِهِ: اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ وَقَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي نَحْنُ فِي تَفْسِيرِهَا:﴿ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ([2]) وهذا يدل على أن قوله: ثم استوى على العرش إشارة إلى ما ذكرناه. فإن قيل: فإذا حملتم قوله: ثم استوى على العرش على أن المراد: استوى على الملك وجب أن يقال: الله لم يكن مستويا قبل خلق السموات والأرض.قلنا: إنه تعالى إنما كان قبل خلق العوالم قادرا على تخليقها وتكوينها وما كان مكونا ولا موجودا لها بأعيانها بالفعل لأن إحياء زيد وأمانة عمرو وإطعام هذا وإرواء ذلك لا يحصل إلا عند هذه الأحوال فإذا فسرنا العرش بالملك والملك بهذه الأحوال صح أن يقال: إنه تعالى إنما استوى على ملكه بعد خلق السموات والأرض بمعنى أنه إنما ظهر تصرفه في هذه الأشياء وتدبيره لها بعد خلق السموات والأرض وهذا جواب حق صحيح في هذا الموضع([3]).

فهذا تأويل القفال لمعنى العرش والاستواء عليه وترجيح الإمام الرازي لهذا المسلك ،لكن الأسلم في هذا الباب هو التفويض بدون تعطيل أوتشبيه كما ذهب إليه سلف هذه الأمة قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله وقد سئل عن العرش" الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة "وهكذا يقال فى سائر الصفات إذ هى بمثابة الاستواء الوارد فى الكتاب والسنة وهذا المنهج ارتضاه إمام أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعرى -رحمه الله - فيقول: إن الله استوى على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش ، بل العرش وحملة العرش محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته وهو فوق العرش وفوق كل

---

١ -يونس:٣

٢ - الأعراف :٥٤

٣ - التفسير الكبير١٤/٢٧٠

شئ ، وإن له وجهاً بلا كيف كما قال : وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (١) وإن له يدين بلا كيف كما قال" ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ (٢)"
وإن له عينين بلا كيف كما قال " ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾(٣)
ج- قَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾(٤)- قال القفال: لترى على عيني أي :على وفق إرادتي، ومجاز هذا أن من صنع لِإنسان شيئا وهو حاضر ينظر إليه صنعه له كما يحب ولا يمكنه أن يفعل ما يخالف غرضه فكذا هاهنا وفي كيفية المجاز قولان:
الأول: المراد من العين العلم أي: ترى على علم مني ولما كان العالم بالشيء يحرسه عن الآفات كما أن الناظر إليه يحرسه عن الآفات أطلق لفظ العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه.
الثاني: المراد من العين الحراسة وذلك لأن الناظر إلى الشيء يحرسه عما يؤذيه فالعين كأنها سبب الحراسة فأطلق اسم السَّبَبِ عَلَى الْمُسَبَّبِ مجازا وهو كقوله تعالى:﴿ إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى ﴾ (٥) ويقال: عين الله عليك إذا دعا لك بالحفوظ والحياطة (٦).

فالقفال تأول صفة العين هنا بالإرادة ، فالتأويل في مثل هذه الصفات هو منهج القفال الذي ارتضاه مثل الكثير من علماء الخلف -رحمهم الله- الذين أولوا الصفات الخبرية تنزيها للذات المقدسة عن مشابهة الحوادث، وللباحث رأي في هذا الخلاف بين سلف الأمة وخلفها وهو أن كلا الفريقين عمد إلى هدف واحد منشود وهو تنزيه البارى تعالى عن مماثلة الحوادث ، وإن تباينت الطرق فأجرهم وحسابهم على الله إلا أن القول بمذهب السلف أسلم إذ ينبغى علينا أن نثبت ما أثبته الله لنفسه ، فإذا كان الله قد أثبت لنفسه وهو أعلم بنفسه منا أفننفيه نحن عنه ؟ فنثبت هذه الصفات له مع الاعتقاد بعدم مماثلته تعالى للحوادث فهو تعالى "﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير﴾ (٧)

---

١ - الرحمن : ٢٧
٢ - المائدة :٦٤
٣ - الإبانة عن أصول الديانة للإمام الأشعرى ص ٣٥ ط مكتبة محمد على صبيح القاهرة
٤ ــ طه:٣٩
٥ - طه: ٤٦
٦ - التفسير الكبير ٤٨/٢٢ وما بعدها
٧ - طه: ٤٦

المبحث العاشر

ما ورد في تفسير القفال من اعتزاليات

ذكرت في معرض الحديث عن التعريف بالإمام القفال اتهامه بالاعتزال واعتذار العلماء له من هذه التهمة ، بيد أن البحث في الأقوال المنتقولة عنه في التفسير تشتمل على وجهات نظر ذات طبيعة اعتزالية واضحة ، كتطبيق أسلوب التأويل على الآيات الموهمة للتشبيه و صفات المعاني السبعة ([1]) التى أولتها المعتزلة عن ظاهرها المراد لاسيما بما يتعلق بالاستواء على العرش والشفاعة يوم القيامة والإرادة الإلهية وغيرها .يقول الإمام الرزي –رحمه الله- :"واعلم أن القفال -رحمه الله- كان حسن الكلام في التفسير دقيق النظر في تأويلات الألفاظ إلا أنه كان عظيم المبالغة في تقرير مذهب المعتزلة مع أنه كان قليل الحظ من علم الكلام قليل النصيب من معرفة كلام المعتزلة.([2])

وقال أبو الحسن الصفار: سمعت أبا سهل الصعلوكي، وسئل عن تفسير أبي بكر القفال، فقال: قدسه من وجه، ودنسه من وجه، أي: دنسه من جهة نصره للاعتزال.([3]) وإليك بعض ماجاء في تفسيره من أقوال تدل على هذا المسلك والله الموفق.

أ- قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾([4]) - قال القفال: إنه تعالى لا يأذن في الشفاعة لغير المطيعين، إذ كان لا يجوز في حكمته التسوية بين أهل الطاعة وأهل المعصية، وطول في تقريره. وأقول- الإمام الرازي-: إن هذا القفال عظيم الرغبة في الاعتزال حسن الاعتقاد في كلماتهم، ومع ذلك فقد كان قليل الإحاطة بأصولهم، وذلك لأن من مذهب البصريين منهم أن العفو عن صاحب الكبيرة حسن فِي الْعُقُولِ، إِلَّا أَنَّ السَّمْعَ دَلَّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لَا يَقَعُ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ الِاسْتِدْلَالُ العقلي على المنع من الشفاعة في حق العصاة خطأ على قولهم، بل على مذهب الكعبي أن العفو عن المعاصي قبيح عقلا، فإن كان القفال على مذهب الكعبي([5])، فحينئذ يستقيم هذا الاستدلال، إلا أن الجواب عنه يرد ذلك من وجوه الأول: أن العقاب حق الله تعالى وللمستحق أن يسقط حق نفسه، بخلاف الثواب فإنه

---

[1] - الصفات السبعة : هى الحياة والإرادة والقدرة والعلم والسمع والبصر والكلام النفسى

[2] - التفسير الكبير ١١/٧

[3] انظرسير أعلام النبلاء ٢٨٣/١٦ وما بعدها

[4] - ..- آية ٢٥٥سورة البقرة

[5] -الكعبي أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي العالم المشهور، كان رأس طائفة من المعتزلة يقال لهم الكعبية وكان من كبار المتكلمين، وله اختيارات في علم الكلام، وتوفي مستهل شعبان سنة سبع عشرة وثلثمائة، رحمه الله تعالى. انظر وفيات الأعيان٤٥/٣

حق العبد فلا يكون لله تعالى أن يسقطه، وهذا الفرق ذكره البصريون في الجواب عن شبهة الكعبي والثاني: أن قوله: لا يجوز التسويَة بين المطيع والعاصي إن أراد به أنه لا يجوز التسوية بينهما في أمر من الأمور فهو جهل، لأنه تعالى قد سوى بينهما في الخلق والحياة والرزق وإطعام الطيبات، والتمكين من المرادات وإن كان المراد أنه لا يجوز التسوية بينهما في كل الأمور فنحن نقول بموجبه، فكيف لا يقول ذلك والمطيع لا يكون له جزع، ولا يكون خائفا من العقاب، والمذنب يكون في غاية الخوف وربما يدخل النار ويتألم مدة ثم يخلصه الله تعالى عن ذلك العذاب بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.([1]) فالقفال يرى أنه لا يجوز على الله التسوية بين الطائع والعاصي في الشفاعة وأن هذا ليس من الحكمة ، وهو في هذا موافق للكعبي من المعتزلة الذي يرى أن العفو عن أصحاب المعاصي قبيح عقلا وقد أجاب عليه الإمام الرازي بما يفند مزاعمه ويغني عن إعادته ولله الحمد والمنة.

ب- ﴿ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ([2])- أي بعلمه وقيل بقضائه وقدره قال القفال أي فبتخليته بينكم وبينهم لا أنه أراد ذلك وهذا تأويل المعتزلة ([3])

ج- ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ([4]) أي خروا له ساجدين وهو سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة ولله أن يفضل من يريد ففضل الأنبياء على الملائكة وقد تقدم في البقرة هذا المعنى وقال القفال كانوا أفضل من آدم وامتحنهم بالسجود له تعريضا لهم للثواب الجزيل وهو مذهب المعتزلة وقيل أمروا بالسجود لله عند آدم([5]) فالقفال يرى تفضيل الملائكة على آدم وقد امتحنهم الله بالسجود له وهذا موافق لقول المعتزلة

د- قوله تعالى :" ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ ([6]) قال الإمام الرازي :واعلم أن أحسن الناس كلاما في تأويل هذه الآية على وجه يوافق قول المعتزلة: القفال فإنه ذكر فيه وجهين:

الوجه الأول: قال إنه تعالى أخبر أنه لا يعذب أحدا بما يعلمه منه ما لم يعمل به، أي لا يجعل علمه حجة على من علم أنه إن أمره عصاه بل يأمره فإذا ظهر عصيانه للناس فحينئذ يعاقبه فقوله: وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها

معناه: وإذا أردنا إمضاء ما سبق من القضاء بإهلاك قوم أمرنا المتنعمين المتعززين الظانين أن أموالهم وأولادهم وأنصارهم ترد عنهم بأسنا بالإيمان بي والعمل بشرائع

---

١ - التفسير الكبير١١/٧

٢ - أل عمران:١٦٦

٣ - الجامع لأحكام القرآن ٢٦٥/٤

٤ - الحجر : ٢٨ ، ٢٩

٥ - السابق ١٠ /٢٤

٦ _ - الإسراء آية١٦

ديني على ما بلغهم عني رسولي، ففسقوا فحينئذ يحق عليهم القضاء السابق بإهلاكهم لظهور معاصيهم فحينئذ دمرناها، والحاصل أن المعنى:
وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً بسبب علمنا بأنهم لا يقدمون إلا على المعصية لم نكتف في تحقيق ذلك الإهلاك بمجرد ذلك العلم، بل أمرنا مترفيها ففسقوا، فإذا ظهر منهم ذلك الفسق فحينئذ نوقع عليهم العذاب الموعود به.
والوجه الثاني: في التّأويل أن نقول: وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً بسبب ظهور المعاصي من أهلها لم نعاجلهم بالعذاب في أول ظهور المعاصي منهم، بَلْ أَمَرْنَا مُتْرَفِيها بالرجوع عن تلك المعاصي، وإنما خص الْمُتْرَفِينَ بذلك الأمر، لأن الْمُتْرَفَ هو الْمُتَنَعِّمُ ومن كثرت نعم الله عليه كان قيامه بالشكر أوجب، فإذا أمرهم بالتوبة والرجوع مرة بعد أخرى مع أنه تعالى لا يقطع عنهم تلك النعم بل يزيدها حالا بعد حال فحينئذ يظهر عنادهم وتمردهم وبعدهم عن الرجوع عن الباطل إلى الحق، فحينئذ يصب الله البلاء عليهم صبا، ثم قال القفال:
وهذان التأويلان راجعان إلى أن الله تعالى أخبر عباده أنه لا يعاجل بالعقوبة أمة ظالمة حتى يعذر إليهم غاية الإعذار الذي يقع منه اليأس من إيمانهم، كما قال في قوم نوح:﴿ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً ﴾ (١)وقال:﴿ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ" ﴾ (٢) وقال في غيرهم: ﴿ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴾(٣) فأخبر تعالى أولا أنه لا يظهر العذاب إلا بعد بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام. ثم أخبر ثانيا في هذه الآية أنه إذا بعث الرسول أيضا فكذبوا لم يعاجلهم بالعذاب، بل يتابع عليهم النصائح والمواعظ، فإن بقوا مصرين على الذنوب فهناك ينزل عليهم عذاب الاستئصال، وهذا التأويل الذي ذكره القفال في تطبيق الآية على قول المعتزلة لم يتيسر لأحد من شيوخ المعتزلة مثله.(٤) وهذا يدل على أن القفال – رحمه الله- ذو قوة في التأويل حسن العبارة ثاقب الفهم بارع في تأويل النصوص على الوجه الذي يوافق مذهبه العقدي
ه- قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾(٥)
ذكر القفال في تأويل الآية على مذهب المعتزلة وجوها أخرى:
أحدها: أنه تعالى لما صب عليهم الدنيا صبا وأدى ذلك إلى رسوخ الغفلة في قلوبهم صح على هذا التأويل أنه تعالى حصل الغفلة في قلوبهم كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ

---

١ ـ الإسراء آية١٦
٢ -- هُودٍ: ٣٦
٣ - - يُونُسَ: ٧٤
٤ - التفسير الكبير ٢٠/٣١٥
٥ -الكهف:٢٨

يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِراراً ﴾([1]). والوجه الثاني: أن معنى قوله: أغفلنا أي :تركناه غافلا فلم نَسِمْهُ بسِمَة أهل الطهارة والتقوى وهو من قولهم بَعِيرٌ غُفْلٌ أيْ لا سمة عليه.
وثالثها: أن المراد من قوله أغفلنا قلبه أي: خلاه مع الشيطان ولم يمنع الشيطان منه
وأجاب عن هذه الوجوه الإمام الرازي:
فيقال في: الوجه الأول: أن فتح باب لَذَّاتِ الدنيا عليه هل يؤثر في حصول الغفلة في قلبه أو لا يُؤَثِّرُ، فإنْ أَثَّرَ كان أثر إيصال اللذات إليه سببا لحصول الغفلة في قلبه. وذلك عين القول بأنه تعالى فعل ما يوجب حصول الغفلة في قلبه، وإن كان لا تأثير له في حصول هذه الغفلة بطل إسناده إليه، وقد يقال في: الوجه الثاني: أن قوله أغفلنا قلبه بمنزلة قوله سودنا قلبه وبيضنا وجهه ولا يفيد إلا ما ذكرناه، ويقال في الوجه الثالث إن كان لتلك التخلية أثر في حصول تلك الغفلة فقد صح قولنا، وإلا بطل استناد تلك الغفلة إلى الله تعالى.([2])
فالقفال لم يألو جهدا في تأويل الآية على مذهب المعتزلة وصرف ظاهر اللفظ الذي يقتضي إسناد سبب غفلة القلب إلى الله تعالى بما ذكر من وجوه وقد أجاب عنها الرازي بما يدفعها والله أعلم.
و- قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ([3]) قال الإمام الرازي – رحمه الله- " واحتج أصحابنا بهذا على أن كل ما أراده الله وقع وكل ما لم يرده لم يقع وهذا يدل على أنه ما أراد الله الإيمان من الكافر وهو صريح في إبطال قول المعتزلة ([4])
أجاب القفال عن استدلال أهل السنة بأن هذه الآية مخصوصة وليست عامة وتقدير الكلام هذا ما شاء الله أى ما في الجنة من الثمار.
قال الإمام الألوسي – رحمه الله-: وزعم القفال من المعتزلة أن التقدير هذا ما شاء الله تعالى والإشارة إلى ما في الجنة من الثمار ونحوها وهذا كقول الإنسان إذا نظر إلى كتاب مثلا هذا خط زيد ومراده نفي دلالة الآية على العموم ليسلم له مذهب الاعتزال وكذلك فعل الكعبي والجبائي حيث قالا الآية خاصة فيما تولى الله تعالى فعله ولا تشمل ما هو من فعل العباد ولا يمتنع أن يحصل في سلطانه سبحانه ما لا يريد كما يحصل فيه ما ينهى عنه ولا يخفى على من له ذوق سليم وذهن مستقيم أن المنساق إلى الفهم العموم وكم للمعتزلة عدول عن ذلك ([5]) فالقفال صرف ظاهر اللفظ الذي يقتضي العموم بهذا الإضمار إلى خصوص تلك الواقعة حتى يسلم له

---

١ - نوح:٦
٢ التفسير الكبير ٢١/٤٥٧
[3] - الكهف : ٣٩
[4] - السابق٢١/٤٢٦
[5] - روح المعاني ٨/٢٦٥ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى١٤١٥ هـ

مذهبه الاعتزالي والمتبادر إلى الفهم عموم المشيئة الإلهية النافذة في جميع خلقه بما فيها أفعال العباد والله أعلم.
وبناء على ما تقدم من أمثله أقول إن القفال – عفا الله عنه- تأول في كثير من النصوص بصرف الألفاظ عن ظاهرها لتوافق المذهب الاعتزالي وجعل العقل وأصول المعتزلة حاكمة عليها وهذا ديدن المنهج الاعتزالي في تفسير القرآن ، فلو خلا تفسيره من مثل هذا لكان من أجود التفاسير وأحسنها لبراعته اللغوية والفقهية في فهم النصوص وتأويلها فجزاه الله خير الجزاء عن اجتهاده وغفر له عثراته ، ولله الحمد والمنة .

خاتمة البحث

الحمد لله الأول بلا ابتداء ، الآخر بلا انتهاء ، المنفرد بقدرته ، المتعالى في سلطانه ، الذي لا تحويه الجهات ، ولا تَنْعَته الصفات ، ولا تُدركه العيون ، ولا تبلغه الظنون ، البادئ بالإحسان العائد بالامتنان ، الدال على بقائه بفناء خلقه ، وعلى قدرته يعجز كل شيء سواه ، المغتفر إساءة المذنب بعفوه ، وجهل المسيء بحلمه ، وخلق الخلق من بين ناطق معترف بوحدانيته وصامت متخشع لربوبيته ، لا يخرج شيء عن قدرته ولا يعزب عن رؤيته ، الذي قرن بالفضل رحمته ، وبالعدل عذابه ، فالناس مدينون بين فضله وعدله آذنون بالزوال آخذون في الانتقال من دار بلاء إلى دار جزاء .

والصلاة والسلام على سيد العالمين وشفيعنا يوم الدين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد فقد انتهيت من هذه الدراسة عن الإمام القفال - رحمه الله- أبرزت فيها بعضا من جهود الإمام القفال في تفسير كتاب الله تعالى ووقفت من خلالها على النتائج التالية:

١- الإمام القفال من أئمة المذهب الشافعي المجتهدين وإليه يرجع الفضل في انتشاره في بلاد ما وراء النهر.
٢- تفسير الإمام القفال وإن لم يصل إلينا كاملا لكن النقول المروية عنه في أمهات التفسير بالرأي كشفت لناعن مكانته التفسيرية وشخصيته اللغوية
٣- هذا التفسير في المقام الأول قائم على الرأي والاجتهاد ولكننا لم نعدم فيه المرويات المأثورة التي ذكرتها في الفصل الثاني ووقفت من خلالها على بعض الملامح المنهجية في التفسير بالمأثور
٤- نبوغ الإمام القفال في علوم اللغة بمختلف أنواعها واهتمامه الشديد بمباحثها في ثنايا هذا الكتاب .
٥- انتصاره لمذهب الخلف في تأويل الصفات الموهمة للتشبيه .
٦- اتفاقه مع المعتزلة في الكثير من أصولها

فهذه أهم النتائج المستفادة من هذا البحث راجياً من الله سبحانه وتعالى أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم ينتفع به المسلمون ، ويأخذ بأيديهم إلى الطريق المستقيم ويثيبني على اجتهادي ، فهذا جهد المقل وعذري أن الكمال لغير ذي الجلال محال ، فالمرء غير معصوم والنسيان من طبع الإنسان وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ثبت المراجع

أولا: كتب التفسير وعلوم القرآن

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطىط ط الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ط دار إحياء التراث العربي بيروت

٣- أسباب النزول للواحدى ط دار الإصلاح الدمام الطبعة الثانية سنة ١٩٩٢م

٤- أضواء البيان للشنقيطي ط دار الفكر سنة ١٩٩٥م

٥- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي طدار الفكربيروت سنة ١٤٢٠ هـ

٦- البرهان فى علوم القرآن ط دار المعرفة بيروت

٧- التحرير والتنويرلابن عاشور ط الدار التونسية

٨- تفسير ابن أبي حاتم ط مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ

٩- تفسير القرآن العظيم لابن كثيرط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩

١٠- تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ط دار الوطن، الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م

١١- التفسير الكبير للرازي ط دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

١٢- تفسير الوسيط للواحدي ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

١٣- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ط المكتبة السلفية المدينة المنورة الطبعة الثانية سنة ١٩٧٦م .

١٤- جامع البيان للطبري ط مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م

١٥- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط در الشعب القاهرة

١٦- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ط دار الشروق – بيروت الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ

١٧- الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ط دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م

١٨- الدر المصون للسمين الحلبي ط دار القلم دمشق

١٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ط دار الفكر بيروت

٢٠- روح المعاني للألوسي ط دار إحياء التراث العربي

٢١- السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٢١٧ تحقيق شوقي ضيف ط دار المعارف - مصرالطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ

٢٢- السراج المنير للخطيب الشربيني ط مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرةسنة ١٢٨٥ هـ

٢٣- غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ط دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة

٢٤- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ط دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ

٢٥- فتح القدير للشوكاني طدار ابن كثير الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ
٢٦- الكشاف للزمخشري دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ
٢٧- الكشف والبيان للثعلبي دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م
٢٨- محاسن التأويل دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
٢٩- معجم القراءات د عبد اللطيف الخطيب ط دار سعد الدين للطباعة والنشرالطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢م
٣٠- مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ط دار الفكرالطبعة الأولى سنة١٩٩٦م
٣١- هميان الزاد إلى دار المعاد لمحمد يوسف أطفيش ط وزارة التراث والثقافةسلطنة عمان
٣٢- الواحدى ومنهجه فى التفسير د / جودة المهدى

ثانيا :كتب الحديث وعلومه
١- السلسة الصَّحِيحَة للألباني ط مكتبة المعارف الرياض
٢- سنن أبي داود ط المكتبة العصرية صيدا بيروت
٣- سنن الترمذي ط دارإحياء التراث العربي
٤- شعب الإيمان للبيهقي ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤١٠
٥- صحيح ابن حبان ط مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية سنة ١٩٩٣م
٦- صحيح البخاري ط دار الحديث وط دار ابن كثير اليمامة الطبعة الثالثة ١٩٨٧م
٧- صحيح مسلم ط دار إحياء الكتب العربية
٨- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ط داالفكر الطبعةالثالثة ١٩٨٨م
٩- كنز العمال للمتقي الهندي ط مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م
١٠- اللآلئ المصنوعة للسيوطي ط دارالكتب العلميةالطبعة الأولى ١٩٩٦م
١١- مجمع الزوائد للهيثمى ط دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٤٠٧
١٢- المستدرك على الصحيحين للحاكم ط دار الكتب العلمية الأولى سنة ١٩٩٠م
١٣- مسند أحمد ط المكتب الإسلامي وط مؤسسة قرطبة
١٤- مسند الحميدى ط دار الكتب العلمية
١٥- مصنف بن أبي شيبة ط مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى١٤٠٩
١٦- المعجم الكبير للطبراني ط مكتبة الزهراء الموصل الطبعة الثانية سنة١٩٨٣م
١٧- الموضوعات لابن الجوزي ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥م
ثالثا: كتب الأدب اللغة والدوواين الشعرية
١- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ط دار الأرقم بيروت

٢- خزانة الأدب لابن حجة الحموي ط دار ومكتبة الهلال الطبعة الأولى١٩٨٧م
٣- ديوان المتنبي لأبي البقاء العكبري ط دار المعرفة بيروت
٤- ديوان جرير
٥- ديوان لبيد بن ربيعة العامري
٦- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ط المعاهد الأزهرية ١٩٩٢م .
٧- شرح التلخيص لأكمل الدين البابرتي تحقيق د/ محمد مصطفى رمضان صوفية ، ط المنشأة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس ، ليبيا الطبعة الأولى ١٩٨٣م
٨- مختار الصحاح للرازي ط مكتبة لبنان بيروت تحقيق محمود خاطر .
٩- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ط دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م
١٠- معاهدة التنصيص على شواهد التلخيص الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، دار النشر: عالم الكتب - بيروت - ١٣٦٧هـ ١٩٤٧م، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد
١١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام مكتبة محمد علي صبيح ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

رابعا: كتب العقيدة وغيرها:

١- الإبانة عن أصول الديانة للإمام الأشعرى ط مكتبة محمد على صبيح القاهرة
٢- الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم تحقيق محمد أحمد عبد العزيز مكتبة عاطف بجوار إدارة الأزهر ، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨ م .
٣- إحياء علوم الدين للغزالي ط دار إحياء الكتب العربية .
٤- الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل د / محمد السيد الجليند ص ٥٢ القاهرة .الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٩٧٣ م .
٥- شرح البيجورى على الجوهرة ط المعاهد الأزهرية
٦- لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسى بشرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين .
٧- منهج السلف بين العقل والتقليد د / محمد السيد الجليند مطبعة العمرانية سنة ١٩٩٤

خامسا: كتب التراجم والطبقات:

١- الأعلام لخير الدين الزركلي ط دار العلم للملايين
٢- سير أعلام النبلاء ط مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٥م
٣- طبقات الشافعية الكبري لتاج الدين السبكي ط هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤١٣
٤- طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ط دار البشائر الإسلامية بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٢م
٥- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة وما بعدها ط دار إحياء التراث العربي
٦- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل بن محمد البغداديدار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان
٧- وفيات الأعيان لابن خلكان ط دارصادر بيروت.